

صاحب شخصية وم وملامح من عبقرية الزمان

عبد الحميد صالح



بقلم الدكتور

عبد الحميد صالح صمدان

نبة مدبولي



0035443



Bibliotheca Alexandrina

صاحب شخصية مصر

جمال حمدان

وملامح من عبقرية الزمان

صاحب شخصية مصر

جمال حمدان

وملامح من عبقرية الزمان

بقلم

الدكتور عبد الحميد صالح حمدان

مكتبة مديبولي

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

لا أدري لماذا لم يخطر ببالي أبداً أننى سأكتب عن شقيقى جمال حمدان ، وأنه لم يتطرق إلى ذهلى أننى سأنعيه أو أرثيه فى يوم من الأيام ، فقد كان كالطود الشامخ الذى لا يتزعزع ، والنهر المتدفق الذى لا يضب معينه . وكانت حياته كلها عبارة عن كفاح مستمر فى سبيل العلم والتلويز بمعناهما الدقيق والعريض ، ولم تشوبها شائبة الأطماع أو التهافت ، فقد كان ينأى عن الصغائر وعن الدعاية لنفسه ، وعلمته ظروف الحياة أن يبتعد عن زخرفها وبهرجها ، تاركاً لأعماله - ولأعماله وحدها - أن تتحدث عنه . ومن ثم اختار لنفسه أن يعيش راهباً فى محراب الفكر ، وارتضى لها فى سبيل ذلك اعتزال الناس والاعتكاف فى داره بعيداً عن ضوضاء المجتمع وضجيجها ، وارتاح لذلك ومالت هذه النفس المطمئنة للعلم وحده ، فوهبها له ، وانقطع عن العالم الخارجى ليضع هذا العلم فى خدمة مصر التى مات وهو يفكر

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

فيها ، وفي شئونها وهمومها ومشاكلها . وكانت فلسفته في الحياة تقوم على أساس أن لا شيء يعلو على العلم ، وأن الدنيا بدونها لا تساوى شيئا ، وأن هذا العلم لا يأتي من فراغ ، ولكن بالكد والاجتهاد .

وكان - ككل العلماء الجديرين بهذا اللقب - يتفوق على تخصصه بل ويتخطاه لكي يضع معارفه العلمية والمتخصصة في السياق الشامل والطبيعي للتاريخ الكلى ، أى التاريخ الذى يجمع بين الحضارة والمعرفة والثقافة والسياسة والجغرافيا وغيرها من العلوم الأخرى . فكان بذلك يصل العلم بحياة الناس ومشاكلهم وكيفية حلها ، وإعطاء المؤشرات السليمة التى تهديهم إلى مستقبلهم ، وكيفية التعامل مع هذا المستقبل بطريقة علمية مدروسة .

لقد غاب عنا جمال حمدان بجسده ، ولكنه سيظل حاضرا معنا بروحه وأفكاره وتراثه !

ولا نزعم أن هذه الصفحات تشكل سيرة أو تاريخا كاملا لحياة جمال حمدان ، ولا ندعى أنها دراسة متعمقة فى فكره أو إنتاجه العلمى الغزير ، فهذا أمره متروك للباحثين والعلماء ولجانهم المختلفة ، وتلك

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

مهمتهم التي قد تحتاج إلى سنوات طويلة من البحث والاستقصاء .
ولكن هذه الصفحات وإن كانت تجمع - بإيجاز - بين هذا وذلك ،
تعتبر بالأحرى بمثابة ذكريات من النسي المدسى ، جاءت كلها عفو
الخطر . أثارتها في نفسى وفاته المأساوية ، فتجمعت الأحزان وتورادت
السوانح والأفكار ، فجاءت هذه الصفحات تعبيراً عنها .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملاح من عبقرية الزمان

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

اعتادت والدتي - رحمها الله - أن تلد في قريتنا « ناي » ، مركز
قليوب (محافظة القليوبية) ، التي تبعد عن القاهرة بنحو ٤٠ كيلو
مترا ، حيث تتوفر لها العناية الصحية ، وتحظى برعاية والدتها
وحنانها . وكان حرصها على ذلك شديدا بعد أن فجعت بوفاة أختنا
البكر « سعاد » ، بعد ولادتها بشهور ، وكان السبب في ذلك بُعدها عن
والدتها وافتقارها إلى التجربة في مستهل حياتها الزوجية . وصممت
بمباركة من جدتي ، على ألا تضع أولادها إلا وهي بجوارها .

وكان والدي يصحبها قبل شهر من تاريخ الوضع إلى بيت
حماته ، ويأتي لزيارتها والاطمئنان عليها أسبوعيا بعد خروجه من
مدرسته التي كان يعمل بها ، ويظل بجوارها طوال عطلة الأسبوع .
وهكذا ولدت هناك شقيقتي المرحومة « شكرية » ، ١٩٢٢ ، ثم شقيقتي
محمد ١٩٢٤ ، فشقيقتي المرحوم جمال الدين ١٩٢٦ ، ثم « جمال

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملامح من عبقرية الزمان

حمدان ، فى يوم الأربعاء الموافق ٤ فبراير ١٩٢٨ ، حيث هبط إلى الدنيا فى عز أيام الشتاء ، وفوق فرن ساخن !
وقريتنا ناى هذه هى إحدى قرى مركز قليوب ، الذى يضم أيضا عدة قرى مجاورة هى كفر رمادة ، وكوم أشفين والجعافرة ، وميت حلفة ، وطنان ، وقلما . وكلها قرى عامرة بالزراعات وخاصة الفاكهة . وكانت عدتها أيام المماليك تسعة عشر ألف دينار ومساحتها تزيد على ألفى فدان ، وكانت جارية فى إقطاع جماعة من المماليك السلطانية ورجال الحلقة المنصورة ، على حد قول ابن دقماق فى انتصاره . وقال ياقوت الحموى فى معجم بلدانه أنها من أعيان قرى مصر ، قريبة من الفسطاط ، ذات بساتين ، وميرتها (أى خراجها) عشرة آلاف دينار فى كل عام .

والواقع أن هذه القرى كانت مصدر تموين القاهرة بالأجبان والسمن والقشطة ، فإذا ما انقطع المجلوب منها ، وقع أهالى القاهرة فى ضائقة شديدة كما قال ابن إياس فى بدائع . ولذلك كان السلاطين يهتمون بحفر خلجانها ، وتشبيد السدود عندها كما حدث بالنسبة لسد الخشب الذى كان قائما عند ناى وطنان . وكان أهالى ناى وضواحيها

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

هم أول من شق عصا الطاعة على العثمانيين الأتراك ، وكانوا يقطعون عليهم الطريق ويقتلونهم ويأخذون خيولهم وجمالهم وسلاحهم . وذكر ابن إياس أن السلطان أرسل تجريدة لمحاربتهم ولكنها لم تظهر بهم ، بعد أن هربوا إلى الجبال !

ويحكى أنه ظهرت في رمضان سنة ٩١٥ هـ ، فتاة دون البلوغ ، قيل إنها رأت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام عدة مرات ، وظهرت لها كرامات خارقة ، فكانت تقيم المقعد وترد بصر الأعمى ، وذاع صيتها في القاهرة ، وزارها في بلدتها الأمراء وأعيان الناس التماسا لبركتها !

ووصل في يوم من الأيام ونحن صغار نمضي الإجازة الصيفية ببلدتنا ناي ، رجل ادعى أنه من الأولياء ، وتجمع حوله أهل البلد وأحاطوه برعايتهم حتى اتضح لأخي جمال أنه من المشعوذين ، وأحس هو بذلك ، وخشى على نفسه ، وتسأل من البلدة تحت جناح الليل ولم يعد نسمع عنه بعد ذلك !

ومحافظة القليوبية كانت تعتبر في أيام المماليك العمل الثاني من أعمال مصر ، ومقر ولايته ، قليوب ، .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملامح من عبقرية الزمان

وقد خرّجت القليوبية عددا كبيرا من العلماء ، منهم الأمام الليث بن سعد (١٧٥ هـ) الذى ولد بقرقشدة (أو قلقشدة) وكان شيخ الديار المصرية وعالمها ، وكان ثقة كثير الحديث صحيحه ، واشتغل بالفتوى فى زمانه كما ولد بها أبو العباس أحمد بن على القلقشندى (٨٢١ هـ) صاحب موسوعة « صبح الأعشى فى صناعة الإنشا » . وحكا لى والذى أن نسب عائلته حمدان يرجع إلى فلول القبائل العربية التى نزحت من الجزيرة العربية ، واستقرت فى الديار المصرية بعد الفتح الإسلامى ، ومنها بطن « حمدان » الذى استقر - على غير عادة القبائل الأخرى - فى القليوبية بالوجه البحرى . وقد ذكر القلقشندى أن هذا البطن هو من بطون قبيلة « جذام » المشهورة التى نزلت بالشرقية (وكانت القليوبية تابعة للشرقية - فى ذلك الوقت) .

ولما كان والدى ينحدر من عائلة ريفية ، فقد كان مصيره الاشتغال بالأرض ، ولكنه توسل إلى والده لكى يرسله إلى المدرسة لكى يتعلم القراءة والكتابة . وتحقق أمله ، ودخل كتاب القرية حيث تعلم القراءة والكتابة وحفظ شيئا من القرآن . ولما رأى شيخه عليه إمارات النجابة وحبه للعلم ، ذهب إلى والده (جدى) ونصحه بأن يترك محمود

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

(والدى) ليستكمل تعليمه ، وبأنه سيتولى إرساله إلى الأزهر الشريف
بالقاهرة !

وكان هذا ما حدث بالفعل ، فقد سافر أبى مع والده حيث أودعه
الأزهر الشريف ، وأقام أبى فى رواق الأكراد ، وعاش على ما كان
يحصل عليه من جراية ، وجدّ واجتهد حتى حصل على تجهيزية
الأزهر ؛ ثم التحق بمدرسة القضاء الشرعى التى كانت تخرج القضاة
الشرعيين للعمل بالمحاكم الشرعية فى مصر . ولكن والدى - لسوء
حظه - لم يستمر بها إلا لعدة شهور ، وتم فصله منها نهائيا عقابا له
على خروجه على رأس المظاهرات عندما قامت ثورة سنة ١٩١٩ م .
واضطر فى العام التالى إلى دخول مدرسة المعلمين ، وتخرج منها
مدرسا للغة العربية . وظل ينتقل من مدرسة إلى أخرى إلى أن عين
مدرسا بمدارس الأمير فاروق التى كانت تابعة للوزارة الأوقاف فى ذلك
الوقت ، والتى كانت تقع بحى روض الفرج .

وكان هذا مدعاة لانتقالنا إلى السكن بالقرب من المدرسة ، واختار
أبى حى شبرا بجوار جامع الخازندار ، واستأجر شقة هناك .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملاح من عبقرية الزمان

وتشاء الصدف أن نسكن فى شقة مقابلة لشقة عائلة إيطالية من العائلات الكثيرة التى جاءت إلى مصر ، إما للعمل أو للتجارة . وكان رب الأسرة فنانا يعمل بمدرسة الدون بوسكو الايطالية . وتوطدت العلاقات بين الأسرتين بصورة متينة ، وكنا نعامل مدام فيكتوريا ، (وهو اسم ربة البيت) كوالدتنا تماما ، وكانت هى تعتبرنا أولادها حيث أنها لم تزرق بأولاد . وكان تأثير هذه السيدة على والدتى كبيرا ، وتعلمت منها أشياء كثيرة تتصل بفنون تدبير المنزل والطهى ، لدرجة أننا دأبنا على تسمية قطع الأثاث فى المنزل بأسمائها الايطالية . كما أنها كانت هى التى أطلقت على أخى ، جمال ، اسمه الذى عرف به بيننا طوال حياته : « لولو » ، وهو تصغير لاسمه « جلال » الذى كان والدى قد اختاره له عند ولادته ، والذى تبين فيما بعد وعند تحرير استمارة دخوله امتحان الشهادة الابتدائية أن اسمه قد كتب خطأ فى شهادة الميلاد على أنه « جمال » بدلا من « جلال » . وفشلت جهود أبى فى تصحيح الاسم وإعادة الأمور إلى نصابها ، لا سيما وأن أخيه الأكبر منه مباشرة كان اسمه « جمال الدين » ، ولم يكن هناك بدّ من تسمية أخى جلال باسمه الجديد « جمال » ، وأصبح فى بيتنا « جمال

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

الدين و جمال ، . ومما هوّن من الأمر أننا كنا ننادى هذا الأخير باسم
« لولو » طوال حياته منعا لأى لبس أو خلط بينهما ، وعرف بيننا بهذا
الاسم واشتهر ، وسدري كيف أن اسم الشهرة قد أنقذه من شر مستطير .
وعندما ولد أخى ، كان على رأس الحكومة فى مصر عبد الخالق
باشا ثروت الذى استقال فى مارس ١٩٢٨ ، وخلفه فى رئاسة الوزارة
رئيس الوفد وخليفة سعد باشا زغلول ، مصطفى النحاس باشا ، غير أنه
لم يبق فى الحكم مدة طويلة ، فقد أقاله الملك فؤاد فى شهر يونيه من
هذه السنة ، وحلّ البرلمان فى شهر التالى أى فى شهر يوليه ، وعطل
الدستور ، وتولى محمد محمود باشا رئاسة الوزارة بمرسوم ملكى ،
ويمباركة بلديين الذى كان يرأس حكومة بريطانيا العظمى
حتى ١٩٢٩ .

وكان أبى يعمل فى المساء أيضا مصححا بجريدة « اللواء » التى
كان يصدرها محمد توفيق دياب ، بعد أن اضطر إلى ذلك لمواجهة
أعباء المعيشة المتزايدة . وكان يسعى فى الوقت ذاته للتعيين فى
مدارس وزارة المعارف العمومية (التربية والتعليم حاليا) ، ونجح فى
ذلك واستلم عمله بإحدى مدراسها الواقعة فى حى شبرا بالقرب من

صاحب شخصية مصر/جمال حمدان وملامح من عبقرية الزمان

المدرسة التوفيقية ، واضطر أبى إلى تغيير السكن ليكون على مقربة من مدرسته . وقد قضينا فى هذا الحى كل أيام الصبا والشباب ، وأمضينا فيه زهرة العمر .

وفى سنة ١٩٣٦ ، وهى سنة اعتلاء فاروق عرش مصر بعد وفاة والده الملك فؤاد ، وصل أخى إلى سن دخول المدرسة الابتدائية ، فألحقه والدى بمدرسة شبرا الابتدائية للبنين ، وكانت تقع بالقرب من بيتنا وفى مواجهة مدرسة التوفيقية الثانوية . فأمضى بها سنوات الدراسة الابتدائية الأربع دون أحداث تذكر سوى ولعه بلعب كرة القدم ، وتشوقه إلى حصص فلاحه البساتين ، التى كانت مقررة علينا فى ذلك الزمان !

وحصل على الشهادة الابتدائية فى يونيه ١٩٣٩ . وفى سبتمبر من هذا العام أعلنت الحرب العالمية الثانية . ولم تدخل مصر هذه الحرب إلى جانب الحلفاء إلا فى فبراير سنة ١٩٤٥ ، ولكننا ذقنا أهوالها وتحملنا آثارها .

وقدّم أخى أورقه للالتحاق بمدرسة التوفيقية الثانوية ، وقبل بها بالسنة الأولى . وقد أنشئت هذه المدرسة فى عهد الخديو توفيق

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

(١٨٧٩ - ١٨٩٢) الذى تبرع بمبناها (ويقال إنه كان عبارة عن اصطبل للخيول والعربات الخديوية !) ، ولذلك سميت باسمه . وشهدت هذه المدرسة كل مراحل تطوره ، وانصهرت موهبته فى بوتقة هذه المدرسة العريقة التى كانت من المدارس الثانوية التى يشار إليها بالبنان فى مصر ، وكانت هى والمدرسة السعيدية والمدرسة الخديوية ، ومدرسة فؤاد الأول من أشهر المدارس علميا ورياضيا .

فقد كان على رأس المدرسة التوفيقية فى ذلك الوقت ناظرها الجليل والمربي الفاضل عبد الحميد نجاتى ، وخلفه الاستاذ الكريم عاطف البرقوقى . وكانت المدرسة تضم نخبة من الأساتذة المعروفين فى عالم الرياضيات والعلوم والفلسفة والجغرافيا والتاريخ . كما كانت تجمع أكبر اللاعبين فى معظم ميادين الرياضة ولا سيما كرة القدم . وكانت تقام بها أقوى مباريات كرة القدم التى كنا لا نتخلف أبدا - أنا وأخى جمال - عن حضورها عصر كل خميس . وكانت بها أسماء لامعة فى سماء كرة القدم مثل عبد الكريم صقر ، والجلدى ، ومذكور ، وغيرهم من المهرة فى كرة القدم .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملامح من عبقرية الزمان

وفى هذه المدرسة - وبالتحديد فى آخر سنة له بها - التقى بأستاذه الجليل المرحوم محمود جمال الدين الذى كان يدرس له علم الجغرافيا فى السنة التوجيهية بالقسم الأدبى . وكان هذا الأستاذ بعلمه وفضله هو الذى حبيب الجغرافيا إليه خصوصا بعد أن اكتشف نبوغه وولعه بهذا العلم واستعداده الفطرى له . وكم مرة رأيت فيها أخى وهو يصحب أستاذه حتى باب داره - وكانت تقع خلف دارنا مباشرة - وهو يحدثه عن الجغرافيا !

وواكبت سنوات دراسته فى المدرسة التوفيقية سنوات الحرب كلها تقريبا ، وما أفرزته من آلام وخراب ودمار . ولكن الحياة لم تتوقف ، بل سارت بحلوها ومرها . وكان من المتفوقين فى دراسته ابتداء من السنة الأولى ، وكان يستذكر دروسه من أول يوم فى السنة حتى لا تتراكم عليه قبل الامتحانات ، وكان لا يتوانى عن سهر الليالى استعدادا لدخولها . وقد تكلفت جهوده بالنجاح ، فحصل على شهادة التوجيهية (الثانوية العامة حاليا) بتفوق فى شهر يونيه ١٩٤٤ ، وكان ترتيبه السادس على طلبة القطر المصرى بأسره .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

وتعرف أختى فى هذه الفترة على زملاء له من طلبة المدرسة التوفيقية ربطته بهم روابط الزمالة والصداقة ، ومنهم المرحوم الدكتور رفعت المحجوب ، والدكتور صبحى عبد الحكيم والدكتور عبد العزيز الشربينى وغيرهم من كبار الشخصيات التى لعبت دورا هاما فى حياة مصر فى السبعينات والثمانينات . وكانت له مجموعة من الأصدقاء يخرج معهم للتنزه أو للعب الكرة . وهكذا كانت تمضى إجازاته الصيفية أثناء الحرب ، وبعد انقطاعنا عن الذهاب إلى بلدتنا ، نأى ، بعد وفاة جدتى . وكانت متعته أيضا القراءة ، سواء كانت كتب علمية أو روايات من روايات الجيب التى كانت تصدر فى ذلك الوقت تحت إشراف الأستاذ عبد العزيز أمين ، والتى كانت تتخاطفها الأيدى وتتناقلها لأسلوبها الشيق وأحداثها المثيرة . فكان يعيش مع هذه الروايات لحظات جميلة ويمضى مع أبطالها ساعات ممتعة ، ولا ينفك يتحدث عن أرسين لوبيين أو شرلوك هولمز وعن مغامراتهما وأعمالهما الجهنمية !

وكان عادة ما يذهب إلى إحدى دور السينما الصيفية التى كان حى شبرا يعج بها ، وكانت تعرض آخر وأحدث الأفلام الأمريكية وآخر

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

أنباء الحرب في نشراتها الإخبارية التي كانت تسبق عرض الفيلم
الرئيسي .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملاح من عبقرية الزمان

ولما حصل على شهادة التوجيهية ، توجه بلا تردد صوب قسم الجغرافيا بكلية الآداب - جامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليا) لتقديم أوراقه لمواصلة دراسته الجامعية . فقد كان يعرف هدفه وطريقه الذى رسمه لنفسه بعد أن أضحى علم الجغرافيا بالنسبة له مطمح آماله ، ومجال أحلامه ومربط فرسه وتطلعاته فى الحياة . وقد شجعه على ذلك ما كان يتمتع به من موهبة طبيعية فى ميدانى الرسم والخط ، فقد كان رساما وخطاطا رائعا إلى جانب حبه للموسيقى والطرب والغناء .

ذهب جمال إلى أبى ليخبره بالنتيجة وعزمه على مواصلة دراسته الجامعية والالتحاق بقسم الجغرافيا . فوافق على الفور ، ووعد به بأن يذهب معه لتقديم الأوراق . ولا تسل عن فرحة أبى وفخره وهو يصحب نجله إلى كلية الآداب فى الجيزة لتقديم أوراقه ودفع الرسوم المطلوبة ! فقد كان هذا تجسيدا لتعبه فى تربيته لأولاده ، وتحقيقا لأمل

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملامح من عبقرية الزمان

كان يراوده ، ولم يتحقق قبل ذلك ! فقد كان أخى أول من يحصل على التوجيهية وأول من يدخل الجامعة من عائلتنا ! فكان هذا بالنسبة له ولوالدتي ، بمثابة يوم فرح وعيد !
وقبل أن تبدأ الدراسة فى قسم الجغرافيا ، استعد لها كل الاستعداد ، واشترى حاجياته من كراسات المحاضرات والأوراق والأقلام ، وعمل اشتراكا فى الترام لينقله فى رحلتى الذهاب والإياب من شبرا إلى الجيزة وبالعكس .

وكانت سنة قد تجاوزت السادسة عشر بشهور .
وقسم أخى وقته بين حضور المحاضرات والتردد على مكتبة القسم والكلية ، مع متابعته من حين لآخر لبعض الأنشطة الاجتماعية والثقافية .

وحدث فى سنته الأولى ، أن سقط بين عربات الترام من شدة الزحام ، فأصيب إبهام قدمه إصابة شديدة ذهب على أثرها إلى المستشفى للعلاج ، ولكنه خرج منها فى مساء نفس اليوم بعد أن ضمّدوا له جراحه ، واطمئن على أنه لا توجد أى رضوض أو كدمات أخرى .
وفى شتاء هذه السنة ، أى فى أوائل سنة ١٩٤٥ ، حضر إلى بيتنا

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

فى المساء ، أربعة من رجال البوليس السرى (لعلهم من المخبرين) ،
وطرقوا الباب ، ففتحت لهم والدتى . ولما طلبوا منها أن تستدعى ابنها
جمال ليذهب معهم إلى قسم البوليس لأخذ أقواله فيما نسب إليه من أنه
عضو فى حزب مصر الفتاة ! فردت عليهم والدتى بكل براءة بأن
جمال ، غير موجود ، وأنه فى طنطا بمعهد إعداد مدرسى الرياضة
البدنية ! (وكانت تقصد بذلك جمال الدين شقيقى الأكبر منه ، والذي
كان فعلا قد التحق بهذه المدرسة بعد أن فشل فى تعليمه الثانوى) .
ولما قالوا لها : إنه طالب بالجامعة كما ورد بالأوراق التى فى حوزتهم ،
أجابتهم بأن هذا هو « لولو » ، أما جمال فهو فى طنطا ! وانصرفوا بعد
أن تركوا لها طلب الاستدعاء باسم جمال حمدان !

وقصت والدتى هذه الواقعة على والدى عند عودته إلى البيت ،
فقال لها إن « لولو » هو جمال حمدان ، وهذا هو اسمه ، أما « لولو » فهو
اسم الدلع ! ثم ذهب أبى إلى قسم الشرطة ، ونفى اتصال أخى بأى
حزب أو انتمائه إلى حزب مصر الفتاة كما أكد له أخى قبل أن يذهب
إلى هناك ، وأقبل المحضر على ذلك !

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملامح من عبقرية الزمان

وقد جاءت هذه الحملات البوليسية وازدادت عقب اغتيال أحمد ماهر باشا رئيس الوزراء في فبراير ١٩٤٥ ، الذى أعلن الحرب على ألمانيا واليابان إلى جانب الحلفاء ، وتولى بعده محمود فهمى النقراشى باشا .

وكان الوضع السياسى فى البلاد غير مستقر ، وانتشرت المظاهرات والاضرابات التى اتسمت بالعنف وبدخول عنصر الراديكاليين والأخوان المسلمين ، ومطالبتهم بإلغاء معاهدة ١٩٣٦ وبجلاء الإنجليز عن مصر ، وإنهاء السيطرة البريطانية على السودان . وشرح لى أخى بعد ذلك أنه ذهب بالصدفة للقاء صديق له ، فوجده فى اجتماع للطلبة الأعضاء فى حزب مصر الفتاة ، فتكلم معه لمدة دقائق ، ثم غادر القاعة ، ولكن يبدو أن عيون الحكومة قد رصدته !

انتقل أخى إلى السنة الثانية بعد أن نجح بدرجة جيد جدا فى السنة الأولى . وانتقله إلى هذه السنة ، انتقل إلى الرحاب الواسعة لعلم الجغرافيا ، والتقى بأساتذته الأفاضل الذين سيتركون بصماتهم القوية على طريقة تفكيره وعلى نظرته إلى الجغرافيا . وفى هذه السنة درس على يد جهاذة علماء الجغرافيا فى مصر ، وعلى رأسهم الأستاذ مصطفى

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

عامر ، وكان جمال يجعله ويكن له كل تقدير ، ويعتبره المؤسس والأب
الروحي لمدرسة الجغرافيا المصرية الحديثة ، وإليه أهدى أول
أعماله التي صدرت له باللغة الإنجليزية عام ١٩٥٥ ، وهو
كتاب Studies in Egyptian Urbanism .

وكان فى مطلع حياته قد اعتاد على إهداء مؤلفاته وأعماله
إلى أساتذته من الجغرافيين ، وسرى أنه توقف عن هذه العادة عندما
قطع صلاته بهم ، وأصبح يهدى مؤلفاته رأساً إلى القراء كافة .

ومن هؤلاء الأساتذة ، الأستاذ الدكتور محمد عوض محمد الذى
تأثر به جمال تأثراً شديداً فى بداية حياته الجامعية ، وكان لفرط
إعجابه به يحفظ مؤلفاته عن ظهر قلب ، لا سيما كتابه « نهر
النيل » .

وظل جمال يكن الحب والود لأستاذه الدكتور عباس عمار حتى
بعد أن ترك سلك التدريس الجامعى ، وأهدى إليه مؤلفه « جغرافية
المدن ، رمزا لحب وتقدير كبيرين . وقد كان الدكتور عمار - رحمه الله
- يحدثنى عنه كلما التقينا فى حديقة جامعة جليف الذى كان يمضى
بها عدة ساعات كل يوم أحد ، حيث كان يعمل نائبا لمدير عام منظمة

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملامح من عبقرية الزمان

العمل الدولية ، وكنت أعمل في ذلك الوقت مساعدا لأستاذ الدراسات العربية والإسلامية بجامعة جنيف . وقال لى فى إحدى المرات ، ولعلها الأخيرة قبل وفاته : إن كتابات جمال حمدان ستغير وجه الجغرافيا فى مصر ، بل وتاريخها إذا كان هناك من يسمع ومن يقرأ ! أما الدكتور سليمان حزين - أطال الله فى عمره - فقد كان بالنسبة له رائد فلسفة الجغرافيا دون منازع وحامل رايتها ومبدعها .

وكان له اساتذة يعزّهم ويقدرهم ، منهم الدكتور محمد محمود الصياد والدكتور حسان عوض .

وكان أخى قد التقى بالمرحوم الدكتور محمد الفاتح عقيل قبل سفره إلى جامعة هارفارد فى أمريكا ، وذلك بحكم الجيرة ، فقد كان الدكتور يسكن فى مقابلة بيتنا . وأذكر أنهما كانا عند عودة الدكتور عقيل فى إجازة ، يمضيان الساعات الطوال وهما يتحدثان على قارعة الطريق ويتجاذبان أطراف الحديث عن الجغرافيا وعن حياة الدكتور عقيل فى أمريكا . وظلت هذه الصداقة قائمة لحين عودته من أمريكا وتعيينه أستاذا بقسم الجغرافيا - كلية الآداب جامعة الإسكندرية .

وكانت هذه السنة الثانية ، سنة حاسمة فى حياته الجامعية ، فقد

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

حصل فيها على الامتياز الذى خوّله فى السنة الثالثة حق تعلم اللغة الألمانية ، وحضور محاضرات تتعلق بملهجية البحث ، وهى محاضرات كانت مقصورة على الطلبة الحائزين على درجة الامتياز فى السنة الثانية .

وهكذا تعلم اللغة الألمانية كأستاذ الدكتور عوض محمد عوض ، وكان ذلك على يد المسز بيرج ، والبرفسور ران ، وهو مستشرق سويسرى ، له أبحاث ودراسات هامة فى التاريخ الإسلامى ، وقد كان لى حظ الاطلاع على ذخائر مكتبته من الكتب العربية والأجنبية التى اشتراها من مصر والعالم العربى ، التى باعته ورثته لمكتبة جديف .

وحصل جمال على درجة ليسانس الآداب بامتياز (أو بتقدير ممتاز) ، وكانت سنة آنذاك لا تتجاوز العشرين سنة ! فعين معيدا بالكلية فى نفس سنة تخرجه أى فى أكتوبر ١٩٤٨ . وفى تلك الأثناء ، توطدت علاقته بالإستاذ محمود أمين العالم الذى كان يحضر لرسالة الماجستير ويعمل فى الوقت نفسه أمينا لمكتبة قسم الجغرافيا . وكمن مرة عادا معا من القسم مشيا على الأقدام بمحاذاة شاطئ النيل يتحدثان ويتناقشان .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملاح من عبقرية الزمان

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

وانطبقت على جمال شروط البعثة الفهمية ، وهى البعثة التى كانت قد خصصتها ورثة المرحوم كامل باشا فهمى للطلبة المتفوقين ممن حصلوا على ليسانس الآداب بامتياز وعمرهم يقل عن إحدى وعشرين سنة عند التخرج ، لكى يستكملوا دراساتهم العليا فى الخارج على نفقتها وتحت إشراف إدارة البعثات . فاختير لهذه البعثة ، وأعد عدته للسفر إلى إنجلترا ليحقق أكبر حلم فى حياته العلمية والعملية وهو الحصول على درجة الدكتوراه ، والتعمق فى علم الجغرافيا واكتناه أسرار

تجهز أخى للسفر إلى إنجلترا ، وأجرى اتصالاته بإدارة البعثات ، وراسل معظم جامعات إنجلترا المشهورة ، ووقع اختياره بعد البحث والتدقيق على قسم الجغرافيا بجامعة ريدنج ، الذى كان يضم أعظم أساتذة الجغرافيا فى العالم .

وحزم حقائبه ، وحصل بفضل شركة كوك للسياحة على مكان له

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملاح من عبقرية الزمان

على ظهر باخرة انجليزية من البواخر الناقلة للجنود التي كانت تمر عبر قناة السويس .

وفى شهر مارس من سنة ١٩٤٩ ، وكنت أنا فى التوجيهية بمدرسة شبرا الثانوية (القسم الفرنسى) ، خرجت الأسرة لوداعه فى محطة مصر ، حيث استقل القطار المسافر إلى بور سعيد ، وكنت أنا فى صحبته . وانهال البكاء وانهمرت الدموع مع تحرك القطار ، ومع الدعوات بسفر سعيد وتحقيق الآمال !

ووصلنا إلى بور سعيد عند الظهر ، واتجهنا رأساً إلى الميناء حيث كانت ترسو الباخرة . وبعد أن انتهى من جميع إجراءات السفر ، صعد إلى الباخرة بعد أن قبلنى مودعا ، وفرت الدموع من عيني ، وحاولت أن أخفيها ، ولكنه ربت على كتفى وقال : يا أخى يجب أن تفرح ، فأنا ذاهب لأحقق أغلى أحلامى ! وأضاف : إحنا كلنا عاطفيين جدا ! وأقلعت الباخرة فى المساء وهى مكتظة بالجنود الانجليز العائدين من استراليا إلى بلادهم . . .

ووصل إلى ميناء سوئها مبتون فى انجلترا بعد رحلة عاصفة لاقى فيها الأهوال عند خليج بسكاي حيث اشتدت الرياح وارتفعت الأمواج

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

واضطرب البحر واضطربت معه الباخرة ومن فيها . ومنه استقل القطار
المسافر إلى لندن ، وتوجه إلى مكتب البعثات لإبلاغه بوصوله ، وتلقى
التعليمات والإرشادات اللازمة . وأمضى عدة أيام في لندن قبل أن
يسافر إلى ريدينج . وحكا لى كيف أنه أمضى هذه الأيام وهو يذرع
لندن يمينا ويسارا وطولا وعرضا ! وكان معظم وقته يقضيه في زيارة
المتاحف كالمتحف البريطانى ، ومتحف فيكتوريا وألبرت ، وتيت
جاليرى ، كما زار معالمها وحدائقها ، ولم ينس زيارة بيكر ستريت الذى
يقع فيه بيت شرلوك هولمز ، كما مر على شارع اكسفورد فاشترى
لنفسه قبعة صحبته طوال فترة وجوده فى إنجلترا ، وعادت معه إلى
القاهرة حيث قبعته فى دولاب ملابسه ! وكان فى شبابه حريصا على
حسن هئامه ، أنيقا فى ملبسه .

وسافر من لندن إلى ريدينج فوصل إليها بعد ساعتين ، مارا بالريف
الانجليزى الجميل الذى كان قرأ وسمع عنه من قبل . وترك حقائبه
بمخزن أمانات محطة السكك الحديدية ، واستعلم عن موقع الجامعة ،
وذهب إليها فوراً ، وتقدم إلى مكتب المسجل لاتخاذ الإجراءات
اللازمة ، والحصول على عدة عناوين للسكن . وغادر الجامعة مزودا

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملامح من عبقرية الزمان

بهذه العناوين ، واهتدى إلى سكن مريح بغرفة مفروشة عند سيدة كبيرة السن كانت توجرها بالأسبوع للطلبة . واستقر به الحال عندها ، وكانت ترعاه وتدبر له شلونه ، وتقوم بجميع أعمال الطبخ والغسيل والكى نظير بضعة شلنات إضافية .

وتقع مدينة ريدنج فى مقاطعة بير كشاير على نهري كنت والتميس . وانشئت جامعتها سنة ١٨٩٢ كفرع لجامعة أكسفورد ، واستقلت عنها نهائيا فى سنة ١٩٢٦ . وهى جامعة مشهورة بأقسامها التى تدرس فيها العلوم الزراعية والألبان والعلوم الإنسانية كالجغرافيا والانثروبولوجيا .

وبهذه المدينة صناعات مزدهرة مثل مصاهر الحديد ، ومصانع المعدات والآلات الزراعية ، كما اشتهرت بصناعة البسكويت ، والطباعة والجعة . وهى مدينة عتيقة سكنها السكسون قبل عصر الدانمركيين . وبها كنيسة سان لوران التاريخية ، ذات الطابع النورماندى ، والتى أصبحت كنيسة بروتستانتية فى أواخر القرن الخامس عشر .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

وكانت الجامعة قد حددت له موعدا لمقابلة الأستاذ الذى سيشرف على دراساته ورسالته ، وهو الأستاذ أوستين ميللر ، الأستاذ بقسم الجغرافيا بالجامعة . وحدثنى بعد عودته من إنجلترا أنه قد أحس بالارتياح عند لقاء أستاذه وأمضيا معا وقتا طيبا للتعارف وتبادل الحديث حول رحلته وانطباعاته عن إنجلترا وعن مدينة ريدينج ، وغير ذلك من الأمور العامة ، ولم يتطرق الحديث إلى الدراسة أو أى شىء من هذا القبيل . ودعاه أستاذه لزيارته فى منزله وتناول طعام الغداء مع أسرته . وتكلما بعد ذلك فى الموضوعات العلمية والدراسية ، وحدد له موعدا أسبوعيا للمقابلة . وكان أخى يحضر محاضراته ويجمع مادة رسالته فى آن واحد ، ويعرضها على أستاذه خلال المقابلة الأسبوعية . ويعتبر الأستاذ أوستين ميللر من كبار علماء الجغرافيا الانجليز ، وكان الطلبة يقصدونه من جميع الأقطار لتبحره فى علمه واهتمامه بدراسات الشرق الأوسط . وقد توفى هذا الأستاذ فى ٣١ مارس ١٩٦٨ ، وقد حزن عليه أخى حزنا شديدا ، فإليه يرجع الفضل فى انكبابه على مؤلفات كبار الجغرافيين والمؤرخين العرب ، وكلفه بترجمة عدة أجزاء

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

من خطط المقریزی إلى اللغة الانجليزية .

واختار جمال موضوعا لرسالة الماجستير حول « سكان وسط دلتا النيل » . وبعد مضي سنة أو أكثر من العمل المتواصل ، وضع خطة بحثه وكتب مقدمتها وعرضها على أستاذه الذى رأى أن هذا العمل أكبر من أن يكون موضوعا لدرجة الماجستير ، وأنه يرقى إلى أن يكون موضوعا مناسباً لدرجة الدكتوراه ، لا سيما بعد أن لمس الأستاذ ميللر تفوقه ونبوغه العلمى . فشجعه على المضى فى البحث ، وطلب منه العودة إلى مصر لاستكمال أبحاثه ومراجعته . وعاد فعلاً إلى مصر بعد أن كان الإرهاق والتعب قد أخذاً منه كل مأخذ ، وأعياء الجهد وأضناه السهر مع الكتب والمراجع ، ولم يستطع مقاومة طقس إنجلترا الرديء فى الشتاء ، وكان قد غلبه أيضاً الحنين إلى بلده مصر ، فقرر العودة فى سنة ١٩٥١ . وتعهدهته والدتى برعايتها وأحاطته بعنايتها وحنانها ، فاسترد صحته وارتفعت معنوياته ، وما أن انتهى من جمع مادة رسالته ، والاتصال بأصدقائه وأساتذته ، حتى قفل عائداً إلى ريدينج ، ليبدأ مرحلة كتابة الرسالة ، وهى أصعب المراحل وأهمها .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

وانتهى من كتابة رسالته ودفع بها إلى الآلة الكاتبة لطبعها ، بعد أن وافق الاستاذ ميللر وأثنى عليها . واستعد للمناقشة التي جرت بالتحديد في شهر يونيه ١٩٥٣ ، وملحته الجامعة درجة دكتوراه الفلسفة في الجغرافيا مع مرتبة الشرف الأولى .

وكان أخى طوال هذه الفترة يرسلنا ويتحفنا ببعض الصور التذكارية التي التقطت له ، وما زلت احتفظ ببعضها عندي حتى الآن . وتعرف أثناء وجوده في ريدنج على زميلته في الجامعة الأنسة ، ويلياما ، ، وارتبط بها ارتباطا وثيقا ، فكانا يذهبان معا إلى المحاضرات وإلى المكتبة ، ويخرجان إلى اللزهة في عطلات نهاية الأسبوع .

وسافرا معا في صيف ١٩٥٠ إلى ميناء برايتون حيث أمضيا عدة أيام للاستجمام والراحة من عناء الدراسة والبحث . ولما انتهى أخى من رسالته عرض عليها الزواج والسفر معه إلى القاهرة . ولكنها ترددت في الانتقال النهائي إلى مصر ، ووعدته بالتفكير في الموضوع واتخاذ قرارها في هذا الشأن بعد أن فشلت في إقناعه بأن يتزوجا في ريدنج

صاحب شخصية مصر/جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

وان يستقرا بها . واستمر يرأسها بعد عودته إلى مصر لعدة سنوات ، ولم تنقطع العلاقة بينهما إلا بعد زواجهما ، وارتباط جمال بعلاقة حب مع إحدى زميلاته في الكلية . ولم تسفر هذه العلاقة الأخيرة عن تحقيق رغبتهما في الزواج نظرا للمشاكل التي صادفها أخى في عمله ، وانتهت بعد عدة سنوات كسابقتهما بزواج زميلته من زميل آخر !

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

ودع جمال الأصدقاء والمعارف فى ريدينج ، عائداً إلى بلده .
واستقل القطار إلى لندن ومنها إلى باريس التى وصلها فى منتصف
الليل تقريبا . فذهب إلى أقرب فندق وألقى بأمتعته ، وخرج إلى عرض
باريس مدينة النور ليستكشف مبانيها وشوارعها ، واجتاز الشانزليزيه
واقترب من قوس النصر ليراه رأى العين ولكى يسترجع ما قاله أحمد
الصاوى محمد وتوفيق الحكيم وغيرهما عن هذه المدينة الساحرة التى
جمعت بين الفنون والعلوم . واستمر الحال على هذا المنوال طوال أربعة
أيام . وأكد لى بعد ذلك أنه لم يترك أى ركن فى باريس إلا وزاره ،
وخاصة الحى اللاتينى والانفاليد ومونبارناس والمونمارتر ! وعاد محملا
بذكريات جميلة كان يحدثلى عنها كلما عدت إلى القاهرة من باريس .
وركب القطار من باريس إلى مرسيليا ، وصعد إلى ظهر الباخرة
الإيطالية التى أقلته إلى الاسكندرية وابتعدت أوربا وابتعد عنها ،

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملامح من عبقرية الزمان

واتجه بالقطار إلى القاهرة مفعما بالآمال الكبار ، ومتفائلا
بالمستقبل . . .

وكان قد سمع ، بطبيعة الحال ، وهو فى ريدنج ، عن قيام ثورة
الضباط الأحرار فى مصر فى ٢٣ يولييه ١٩٥٢ . ورغم أنه كان غارقا
فى كتابة رسالته ، فإنه كان يتابع الأخبار بلهف شديد . وكانت الأنباء
قد حملت إليه قبل ذلك أحداث حريق القاهرة فى ٤ فبراير من نفس
هذه السنة ، وما أعقب ذلك من إقالة وزارة مصطفى النحاس باشا زعيم
الوفد ، وتولى على ماهر باشا مقاليد الوزارة لفترة قصيرة ، ثم جاء من
بعده أحمد نجيب الهلالي باشا ، ثم قيام الثورة وخروج الملك فاروق من
مصر . وتوالت هذه الحوادث الجسام وأخذت تترى بسرعة البرق ، ثم
تمحورت وتمركزت حول اللواء محمد نجيب وأعضاء مجلس قيادة
الثورة .

وهكذا عاد جمال إلى مصر ليجد أن الدنيا غير الدنيا التى تركها ،
وأن الحال غير الحال الذى اعتاده . وكانت الأحزاب قد حُلّت ، وأُلغيت
الملَكِيَّة وأعلنت مصر جمهورية رئيسها اللواء محمد نجيب الذى كان فى
نفس الوقت رئيسا للوزراء ، وصدر الدستور المؤقت .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

وتفاعل جمال خيرا - كغيره من ملايين المصريين - بقيام الثورة ،
وأحس بارتياح كبير لهذا التغيير ، وتطلع إلى المشاركة الفعلية في هذه
الثورة ، بما يملكه من علم وفكر . وكان يرى في ذلك الوقت أن نجاح
هذه الثورة لن يتأتى إلا بتكتل كل الشعب وراء ثورته ، بالعمل
والإنتاج . قال لى أخى فى إحدى المرات وكنت أزوره فى مكتبه بقسم
الجغرافيا ، أنهم وزعوا عليه وعلى زملائه فى الجامعة استبياناً فيه سؤال
عن الوظيفة التى يرغب فى شغلها والتى يستطيع فى إطارها
خدمة وطنه . فكانت إجابته على هذا السؤال هى : وزير الشؤون
البلدية والقروية (وكانت قائمة فى ذلك الوقت) . ولما أعربت له عن
دهشتى لاختيار هذه الوزارة ، وبأن يكون وزيراً مرة واحدة ، قال :
يا عزيزى ! إن من يتولى هذه الوزارة يملك فى يده نهضة مصر
أو تخلفها ! وعدد لى مزايا وفوائد هذه الوزارة ومهامها ، وأن الشؤون
البلدية هى البنية الأساسية التى بدونها لا تستقيم حياة الناس فى المدن ،
وأن الشؤون القروية هى العمود الفقرى الذى بدونه ينقصم ظهر مصر !
وكان والحق يقال متحمساً لخدمة مصر فى المكان المناسب الذى
يستطيع من خلاله أن يحقق لها الرفعة والتقدم .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملامح من عبقرية الزمان

وعثر جمال على شقة صغيرة بحى الدقى ، اختارها بنفسه وانتقل إليها فى شهر أكتوبر ١٩٥٧ ، تفاديا للمعاناة التى كان يلاقىها يوميا فى الانتقال من بيتنا فى شبرا إلى عمله فى الجيزة ، والتماسا للهدوء والسكينة . وكان هذا الفراق شديد الوطأة على الأهل ، وخاصة أن أبى كان قد فوجئ فى هذه السنة بأنه قد أحيل إلى المعاش ! أقول فوجئ لأنه لم يكن يعلم أنه قد وصل إلى سن الستين وهى سن التقاعد ! وكان يشعر أنه ما زال صالحا للعمل ! فاضطربت أحواله ، واعتلت صحته بعض الوقت ، ولكنه سرعان ما تماسك بعد أن قرأ فى الجريدة إعلانا تطلب فيه المملكة العربية السعودية عددا من المدرسين المصريين للعمل بمدارسها . وتقدم والدى ومعه بعض زملائه إلى المكتب الثقافى السعودى بالقاهرة ، وأتم تعاقدده للعمل فى مدارس المملكة العربية السعودية . وظل أبى هناك طوال عشر سنوات . وكنت أنا قد انتقلت من قنصليتنا العامة فى كلكتا بالهند ، إلى سفارتنا الجديدة فى تونس . وبهذا انفرط عقدنا ، وخلا البيت على والدتى واخوتى واخواتى الصغار . ثم تقرر على إثر ذلك أن تنتقل الأسرة إلى سكن جديد فى حدائق القبة .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملاح من عبقرية الزمان

ولكن جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن !
وأحس أخى بآثار الاختلالات السياسية والاجتماعية والثقافية التى
هزت البلاد . وظهر له أن النظام السياسى للثورة لم يكن محوره سوى
مركزية شديدة للسلطة مع هيمنة كاملة للمؤسسة العسكرية ، اختلطت
فيها العلاقات الشخصية (أهل الثقة) بالعلاقات السياسية ، مع سيطرة
الشلل وتراجع الضمانات الديمقراطية الحقة .

وكان موقنا بأن أى جهاز للحكم إذا ما استحوذ على السلطة
بلا حدود ، فإنه يستطيع أن يرفع إنسانا ويخفض إنسانا آخر بلا قواعد
أو أسس سوى الولاء للنظام ، وبذلك تتلفى المعايير الموضوعية المتصلة
بالكفاءة أو النبوغ ، وهى كل ما كان يملكه جمال حمدان !

وقد تأكد له ذلك عندما وقعت مصر معاهدة استقلال السودان ،
وكان يعارض الطريقة التى تم بها ذلك وكان يقول علنا أمام الطلبة فى
محاضراته : لقد أضاع الصاغ الراقص مصر والسودان معا ! كما رفض
رفضنا باتا أن يكون ذبلا لأى من أعضاء هذه المؤسسة العسكرية ، ولم
يقبل ما عرض عليه ليكون مستشارا للمؤتمر الإسلامى الذى تأسس فى
ذلك الوقت .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملامح من عبقرية الزمان

وساءت الأمور بالنسبة لأخى فى قسم الجغرافيا بكلية الآداب . وبدأ الكل يتربصون به الدوائر . وكان من سوء طالعہ ان التقى - غير عامد ولا متعمد - بتلك الكترة من الديناصورات التى كانت لهم صلة ، بفلان ، أو ، علان ، ، ممن كانوا يعتبرون ذلك جواز مرورهم صوب اعتلاء المناصب القيادية بلا مجهود أو علم . ولم يقتصر الحال على تخطيه فى الترقية ، بل وصل الأمر إلى حد حرمانه من تدريس مادته المفضلة وهى جغرافية المدن ، وتكليفه بتدريس مادة الخرائط لطلبة السنة الأولى ، والتى عادة ما كان يقوم بها المعيدون ! . وقاسى جمال من هذه السفاهات الكثير ، وهى صغائر يطول شرحها ، وهى بلا شك معروفة للجميع .

وانتدب جمال للعمل فى جامعة القاهرة ، فرع الخرطوم ، ، وهناك وجد أن أحد الزملاء ممن سبقوه فى العمل بالخرطوم ، قد سطا على كتبه ومحاضراته وطبعها ووزعها على الطلبة على أنها من بنات أفكاره ! وأصيب بالدهشة واستولى عليه الغضب ، وأثبت لطلبته أنه صاحب هذه النصوص . وعاد أخى بكل المرارة بعد أن أمضى فى الخرطوم فصل دراسى واحد ، أنجز فيه أحسن دراسة كتبت عن مدينة

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

الخرطوم باللغة الانجليزية ، ليجد أن نفس هذا الاستاذ ينافسه على الترقية بل ويحصل عليها قبله بدون وجه حق . . . وأيقن أخى فى قرارة نفسه - وبعد أن تأثرت صحته من جراء هذه الترهات - أنه لن يقوى على الوقوف أمام هؤلاء الديناصورات ، وأنه لا سبيل إلى محاربتهم بسلاحه الوحيد الذى كان لا يملك سواه وهو سلاح العلم . ورأى أن الأولى به أن يسحب من هذا الميدان ، وأن يترك هذه الكعكة ليتقاسمها بينهم . . . وأن يكرس نفسه لتحقيق مشروعه الكبير الذى كان يحلم به . . .

وعاشت أخى فى محنته هذه ، فلم يكن قراره بالانسحاب والاعتزال بالأمر الهين ، ولا هو بالقرار السهل . وقد اقترحت عليه أن يأخذ إجازة دراسية ، والسفر إلى إنجلترا لانجاز ما كان يطمح إليه من الحصول على دكتوراه الآداب ، وهى أعلى من دكتوراه الفلسفة فى إنجلترا ، ولم تمنح إلا لعدد قليل من العلماء والاساتذة المبرزين . ولكن طلبه رفض ! ولم يتبق أمامه سوى الانسحاب . . .

وعندئذ اعتكف بمنزله ، وأرسل استقالته إلى الجامعة ، ولكنه حتى فى هذه المرة لم ينج من المضايقات والمعاكسات ، وعُلفت استقالته لمدة

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملامح من عبقرية الزمان

سنتين مما أعاقه عن الحصول على حقوقه ! ولم يخطيء أخى التقدير ، فقد كان قراره فى ذلك الوقت هو القرار السليم الذى كان ولا بد من اتخاذه رغم قسوته وتطرفه !

وأصيب بحالة من الكآبة والمرارة ، ومرّ بفترة عصبية أمره طبيبه المعالج على أثرها ، بالكف عن أى نوع من التفكير أو الكتابة . وسافرت معه إلى « حلوان » ، وكانت من أجمل منتجعات مصر وملجأ لطالبي الراحة والاستجمام ، قبل أن تلوّثها عوادم المصانع . وهناك تفرغ تماما للرسم وسماع الموسيقى والخروج للنزهات القصيرة ، والنوم المبكر . وعاد سليما معافا ، وأشدّ عودا وصلابة وأكثر تصميمًا على مواصلة العمل وتخطى الصعاب واقتحامها بطريقته الخاصة . وقد دامت حالة المخاض هذه قرابة شهرين ، هدأت فيها نفسه ، وناقش فيها أموره ، ورسم معالم مستقبله ، التى تبلورت فى ذهنه .

ورتب بعدها حياته فى العزلة ترتيبا صارما بعد أن اهتدى إلى فكرته المتمثلة فى اعتزال العالم ، والاعتكاف فى داره ليعيش فى محراب العلم بين كتبه وأبحاثه . ولزم شقته الصغيرة ، ولم يكن يخرج إلا قليلا لقضاء حاجة أو لزيارة مكتبة أو دار نشر .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

وكان قد استقر في نفسه أن السعادة ليست في المال ، ولا في الجاه ، ولا في المناصب العليا ، بل في تحقيق الذات بأداء رسالته التي وهب نفسه لها وهي العلم ولا شيء سوى العلم . ولا شك أن هذا الصراع بين مقتضيات العلم ومقومات الحياة قد دام لديه لفترة غير قصيرة . وسألته في إحدى المرات عن أسباب هذه العزلة الشديدة ، فقال بالحرف الواحد : اسمع يا عزيزي ! بوسعي أن أجلس في المقاهي والمنتديات وأضع رجلا على رجل وساقا على ساق ، وأقول أنا الدكتور جمال حمدان كما يفعل غيري ، ويمكن بسهولة أن أمسح جوخ لهذا أو لذاك لأصل كما يصل المتسلقة ، ولكنني لم أخلق لهذا ولا لذاك ، ودعك من التفاهات والمظاهر الكاذبة ! وكان يرى أن الأمر لا يحتمل إلا الجد ، وأن مصر تمر بأدق مراحل تاريخها ، وأنه لابد من التضحية في سبيل تقدمها ونهضتها وإلا ساد انحلال عام في المعايير والمستويات الحضارية ، وهو ما يتهددها في الوقت الحاضر ، لا سيما بعد أن غرسوا لها في ظهرها دولة إسرائيل ، !

وكان لا يسمح لأحد بأن يقتحم عليه عزلته دون موعد سابق . وكنت عندما أريد أن أراه ، أمر عليه في الصباح وأترك له بطاقة بموعد

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملامح من عبقرية الزمان

حضورى ، أو أطرق بابه بطريقة معينة (عبارة عن ثلاث طرقات متقطعة) فإذا فتح الباب ، وكان مشغولا فى عمل أو يقوم بتمريناته الرياضية ، أجلسنى فى هدوء فى غرفة استقبله المتواضعة حتى ينتهى من عمله أو تمريناته .

وكان له ، طباط ، يصنع له طعامه ويتولى تنظيف المنزل ، وشراء الحوائج من السوق ، ولا بأس من إرساله إلى البنك أو إلى مكتب البريد ! وكان هذا الطباخ بالإضافة إلى الصحف والمذيع ، بمثابة همزات الوصل بين جمال وبين العالم الخارجى !

وأذكر فى هذه الفترة أن نصحه طبيبه المعالج بإجراء عملية الزائدة الدودية ، التى كان يشكو منها . وذهبت إليه صباح اليوم المحدد لدخول المستشفى . وخرجنا بعد أن أعد عدته للعملية ، وإذا به ونحن فى منتصف الطريق يقول لى : اسمع ! هيا بنا إلى بيتى ، فقد قررت عدم إجراء العملية ، فلست بحاجة إليها وكان هذا ما حدث فعلا ، ولم يجر أذى أى عملية جراحية فى حياته . وتوصل بقوة عزمته وتنظيمه لأكله والقيام بالتمرينات الرياضية ، إلى التغلب على متاعبه

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

الصحية إلى حذما ، ولكنها كانت تعاوده من آن لآخر نتيجة الإرهاق وكثرة التفكير والسهر .

ولم تكن له طريقة معينة فى العمل ، ولم يكن يأخذ عطلة أسبوعية للراحة ، بل كان يعمل حتى يكلّ ، ويشعر بالتعب ، فيتوقف عن العمل ويخلد إلى الراحة التى كان يجدها فى قراءة الصحف والمجلات مع ممارسة التمرينات الرياضية ، فإذا ما أحس بأنه قد استعاد قواه ، عاود نشاطه تدريجيا حتى يستغرق فى عمله كلية . وكان الفن والرسم وسماع الموسيقى من الأمور التى كانت تعتبر بالنسبة له ، صمام الأمان ، ضد أى نوع من الإرهاق العصبى .

وكان رغم هذا يفتح بابه لعدد من المقربين الذين كانوا يترددون عليه من حين لآخر ، أذكر منهم الاستاذ يوسف القعيد والدكتور عبد العزيز كامل ، والاستاذ محمد حسنين هيكل ، بعد ان ترك رئاسة تحرير الأهرام ، والاستاذ حسين ذو الفقار صبرى نائب وزير الخارجية سابقا قبل أن يصدر مؤلفه : يا نفس لا تراعى وغيرهم من مثقفى مصر وتلاميذه ، وكان له موعد شهري مع ناشر مؤلفاته .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

كان جمال يعى فى قرارة نفسه أن الأقدار قد اختارت له ما أراد ،
ولم يشعر عند انسحابه من الحياة العامة ، بأنه قد ألقى بنفسه فى فراغ
أو فى ضياع ، بل بالعكس كانت هذه العزلة بالنسبة له فرصة للإنتاج
والإبداع بعيدا عن أسوار الجامعة وقيودها ، ولما حُرِمَ من إلقاء
محاضراته فيها ، قرر أن يخرج بها على الجميع وأن يلقيها على الملأ ،
وكان السبيل الوحيد المتاح أمامه هو التأليف .

وكان قد أصدر بعد عودته من البعثة عدة مؤلفات باللغة العربية
(انظر قائمة مؤلفاته باللغة العربية الواردة فى الملحق الأول) ، نذكر
منها :

- أنماط من البيئات ، ١٩٥٨ ؛

- دراسات فى العالم العربى ، ١٩٥٨ ؛

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملاح من عبقرية الزمان

- جغرافية المدن ، ١٩٥٨ ؛

وذلك بالإضافة إلى عدة مؤلفات باللغة الانجليزية (انظر قائمة
مؤلفاته باللغة الانجليزية الواردة فى الملحق الثانى) .

وأصدر بعد اعتكافه عددا من المؤلفات القيّمة ، نذكر منها :

- المدينة العربية (١٩٦٤) ؛

- الاستعمار والتحرير فى العالم العربى (١٩٦٤) ؛

- بترول العرب (١٩٦٤) ؛

- إفريقيا الجديدة (١٩٦٦) .

وكتب العديد من المقالات والبحوث التى نشرت فى الصحف
والمجلات المصرية (انظر قائمة مقالاته المنشورة فى الصحف
والمجلات العربية والواردة فى الملحق الثالث) .

وكانت نكسة يونيه ١٩٦٧ ، هى التى فجرت شرارة ملحمة
الكبرى ، شخصية مصر ، . فقد صدمته الهزيمة وهزت كيانه ، كما
صدمت وهزت ملايين المصريين . وكان قد تنبأ بوقوع هذه الهزيمة
فى مقال له صدر بعنوان : « هل تملك إسرائيل سلاحا ذريا ؟ » ، وذلك
فى سنة ١٩٦٥ ، أى قبل النكسة بعامين ! ولم يكن يتوقع أن تكون تلك

صاحب شخصية مصر/جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

الهزيمة على هذه الدرجة من القسوة والشدة . ولم يكن ممن يستسلمون للإحباط أو فقدان الثقة ، بل عكف رغم جراحه على إنجاز شخصية مصر - دراسة في عبقرية المكان ، ، وحاول في هذا الكتاب أن يعرف المواطن العادى والمثقف العام بجوهر وطنه ، ويدله على شخصيتها المصرية والعربية ، ويحدد له معدنها القومى الأصيل ، ودورها الإنسانى والحضارى . ودفع بهذا الكتاب إلى دار الهلال ، التى تلقفته واصدرته فوراً فى سلسلة كتبها الشهيرة « كتاب الهلال » ، فى شهر يولييه ١٩٦٧ . وكان مع صغر حجمه بلسماً شافياً للمثقفين والمواطنين العاديين الذين كانت الهزيمة قد حطمت معنوياتهم ، فاندعت الثقة وتعدرت الرؤية . . .

وقال فى مقدمة هذا الكتاب : إننا فى المرحلة الحالية من تطورنا فى حاجة ماسة إلى فهم كامل لوجهنا ووجهتنا ، لكياننا ومكاننا ، لا مكانياتنا وملكاتنا ، ولكن أيضاً للقائنا ، ونقائضنا ، كل أولئك بلا تحرج ولا تحيز ولا هروب ، فليس هذا دفاعاً عن مصر ، ولا هو محاولة شوفينية للتمجيد ، وإنما هو تشريح علمى موضوعى يقرن

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

المحاسن بالأضداد على حد سواء ، ويشخص نقاط القوة والضعف
سواء بسواء ، وبغير هذا لا يكون النقد الذاتي . وقد لا يرضى هذا
السطحيين والدعاة

ثم أصدر بعد ذلك طبعة منقحة ومزودة لهذا الكتاب ، جاءت في
نحو ألف صفحة . وقد انتشر هذا الكتاب وتلقفته الأيدي ، وتهافت عليه
الناس .

وبحضرنى فى هذا المقام أننى فى يوم من الأيام التقيت بصديقى
وزميلى المرحوم الدكتور محمد عبد الحليم محمود نجل الشيخ الأكبر
الدكتور عبد الحليم محمود ، وأخذ يتحدث معى بشأن هذا الكتاب ، وأن
وزير الخارجية الدكتور محمود فوزى قد كلفه - بوصفه أحد أعضاء
مكتبه - بقراءة هذا الكتاب (أى شخصية مصر) وعمل ملخص بأهم ما
ورد فيه من آراء وأفكار ! فقلت فى نفسى : عمار يا مصر طالما
فيك رجال من أمثال الدكتور محمود فوزى !

وحدثنى جمال بعد صدور شخصية مصر فى طبعته الأولى ، أنه
ينوى أن يكون هذا الكتاب هو الأول فى سلسلة تتناول شخصية كل بلد

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

من البلدان العربية ! فقد كان ، عربى ، النزعة ، يؤمن إلى أقصى حد بعروية مصر ، ويدورها فى العالم العربى . وكان يطبق هذا عمليا على نفسه بتوثيق علاقاته بالأشقاء العرب الذين كانوا يدرسون معه أو درسوا على يديه ، وكانت له مجموعة من الأصدقاء من السودان وليبيا وسوريا والعراق وغيرها من البلدان العربية ، لا أذكر الآن سوى اسم الأديب العراقى الدكتور شاکر حضاك ، والروائى السودانى الكبير الطيب صالح .

وتوالت مؤلفاته بعد ذلك ، فأصدر منها :

- اليهود انثروبولوجيا . . . (١٩٦٧) ؛

- استراتيجية الاستعمار والتحرير (١٩٦٨) ؛

وأعاد نشر هذا الكتاب فى طبعة مطولة سنة ١٩٨٣ ، أكد فى مقدمتها على حاجتنا الحقيقية والملحة إلى دراسة كاملة ومتكاملة ، أصولية منظمة ، لتاريخ الاستعمار فى العالم من ناحية ، ولتاريخ الصراع الاستراتيجى من ناحية أخرى . ولذلك جاء هذا الكتاب بمثابة دراسة فى الجغرافيا السياسية بجانبها التاريخى والمعاصر ، حاول فيها تتبع مورفو لوجية التاريخ داخل إطار أو أطر واضحة التحديد من

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

مورفولوجية الجغرافيا . وأورد فيه حركات بناء الامبراطوريات والتوسع الاستعماري عبر العصور ، عصرا بعد عصر ، مع تحليل دوافعها ومحركاتها ، مع محاولة استشفاف واستنتاج دروسها الجيوستراتيجية الأكثر خلودا وبقاءً .

وجاء كتابه « العالم الاسلامي المعاصر ، الذي أصدره في عام ١٩٧١ ، تحقيقا لرغبة دفيئة في نفسه ، فقد أراد بهذه الدراسة التدليل على أن للدين مكانه المقرر في الدراسات الجغرافية ، الإقليمية للعالم الإسلامي ، ولكن المقصود - بالتعريف - هو دراسة الإسلام في ذاته من حيث هو ظاهرة في المكان له توزيعه وامتداده الجغرافي الخاص في اللاندسكيپ ، وعلاقاته الايكولوجية معه ، من حيث هو عامل مؤثر في إقليمه ، وفي تشكيل تاريخه ، وحياة سكانه ، وتكوين أو تلوين وجه النشاط البشري أو العلاقات الاجتماعية فيه ، بما في ذلك وعلى الأخص الجوانب السياسة الداخلية ، وتوجيه السياسة الخارجية والمشاكل الدولية . . . الخ . وضم الكتاب أربعة فصول هي :

١ - من جغرافية الإسلام

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

٢ - نظرة عامة فى مورفولوجية العالم الإسلامى

٣ - خريطة الإسلام السياسية

٤ - نظرية الوحدة الإسلامية .

وطلب منه صديقه العزيز المرحوم الأديب الكبير يحيى حقى أن يكتب مقدمة لترجمته لكتاب ، القاهرة ، تأليف ديزموند ستوارت . فكتب له جمال مقدمة استوعبت نصف الكتاب تقريبا ! وجاء فيها أن القاهرة هى أم المدن جميعا إذا ما حصر المرء العواصم المخضومة العريقة فى الدنيا ، وأنه ما من عاصمة فى دولتها ما للقاهرة من ثقل ومركزية طاغية وسيطرة وتوجيه ، وخلص إلى أن القاهرة إذن : «تاريخ مفعم مجمد أو محفوظ ، كل حجر فيها مشبع بعبق الماضى وعرقه ، وكل شبر منها يحمل بصمات الإنسان» .

وأصدر فى عام ١٩٧٣ ، كتابه « بين أوروبا وآسيا ، » وكتابته « الجمهورية العربية الليبية ، » وفى أعقاب انتصارات حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، أصدر كتابه : « ٦ أكتوبر فى الاستراتيجية العالمية ، » حلل فيه هذا الانتصار وأشاد به . وصدر كتابه عن « قناة السويس ، فى سنة ١٩٧٥ .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملامح من عبقرية الزمان

وفى كتابه الذى أصدر فى ١٩٨٤ بعنوان : « من خريطة الزراعة المصرية ، ، نادى بضرورة العودة إلى الزراعة فى مصر ، أو بالأصح عودة الزراعة إلى الأولوية والصدارة ، مؤكداً أن هذه العودة باتت ضرورة أمن وبقاء ، مثلما هى مصل مضاد للاختلال الجسيم بين التوجه الصناعى والتوجه الزراعى ، وبين الإنتاج والسكان ، وذلك فى عالم انفجر فيه المدّ السكانى الغامر، بل الطوفان البشرى الكاسح ، إلى آفاق غير مسبوقة ولا ملحقة على حد قوله فى مقدمته ، وبعد أن اختل فيه التوازن أيضا بين الصناعة والزراعة ، أو بين الإنتاج غير العضوى والعضوى حتى بات يشكو من التخمّة فى المصنوعات ومن المجاعة فى الغذاء . وخلص من ذلك إلى أن العودة إلى الزراعة هى العودة إلى الطبيعة ، وبهذه الصفة فإن الزراعة لم تعد حرفة تنتمى إلى الماضى بقدر ما تمتّ إلى المستقبل ، لا سيما فى مصر المتخمّة سكانيا ، المأزومة اقتصاديا ، والمتباعدة باطراد عن الكفاية الذاتية غذائيا .

ورسم جمال فى هذا الكتاب خريطة الزراعة المصرية كما هى فعلا دون ما تشخيص أو تقييم أو تقويم ، أى مجرد تحسّس لواقع تضاريسها ككل حى نابض .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملامح من عبقرية الزمان

ورغم هذه الأعمال الفذة والمؤلفات الجلية ، كان يعمل بصبر وأناة في إخراج موسوعته أو ملحمته الكبرى - كما كان يحلو له ان يسميها - « شخصية مصر » ، التي صدرت في أربعة أجزاء على مدى عشر سنوات ووصل مجموع عدد صفحاتها إلى نحو أربعة آلاف صفحة .

وقد تناول هذا الكتاب كل ركن من أركان مصر ، وكل صغيرة وكبيرة فيها ، ولم يترك شاردة ولا واردة إلا وتناولها بالبحث العميق فجاء جامعا ما نعا ، وفاق بذلك كل عمليات المسح ، وكل البحوث التي كتبها علماء الحملة الفرنسية والتي صدرت في كتابهم الشهير : « وصف مصر » .

وأتيح للكتاب « شخصية مصر » أن يحظى بشهرة لم يحظ بها أى كتاب آخر من كتبه العديدة التي تناولت موضوعات على جانب كبير من الأهمية والخطورة . وظفر هذا الكتاب باهتمام النقاد ، وأصبح اسم جمال لا يذكر إلا وهو مقرون باسم « صاحب شخصية مصر » . وفى ذلك يقول جمال : إن شخصية مصر استقطبت أكبر عدد من القراء المصريين لأن الموضوع يخصّ بلدهم ، ولقد كان من الغريب أن تعيش مصر بدون أن ترى نفسها فى مرآة علمية ! وقال فى

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملاح من عبقرية الزمان

مناسبة أخرى : إن كتابي شخصية مصر هو من أحب الكتب إلى نفسي وأقربها إليّ ، فهو موضوع وطني وقومي ، وقد استغرق مني نحو عشر سنوات من عمري ، وعدد صفحاته أيضا أكثر من أربعة آلاف صفحة ، وهو ما يعادل كل ما كتبته في حياتي !

وعندما صدر الجزء الثاني من هذه الموسوعة ، كتب الأستاذ رجاى النقاش يقول : « جاء كتاب شخصية مصر عملا شامخا ، سوف يحتاج القراء والباحثون إلى وقت طويل لقراءته واستيعابه والتعليق عليه ، والاتفاق معه أو الاختلاف حوله ، ولكن الكتاب فى جميع الأحوال هو عمل فكرى وأدبى بالغ الروعة والفخامة والأصالة ، وسوف يعيش الكتاب جيلا بعد جيل ، ويصبح من الآثار الكبرى التى لا تزيدها الأيام والقرون إلا نضارة وقوة ، وسوف يقال دائما: إن هذا الكتاب واحد من أعظم الكتب التى ظهرت فى الفكر العربى فى القرن العشرين ، . وكان فى كل مؤلفاته يتحرى الموضوعية والحياد العلمى ، كل ذلك بمنهجية صارمة لا تتجاوز ولا تتحيز ، وبأسلوب أدبى رفيع . فقد كان بالإضافة إلى علمه الغزير وثقافته الواسعة ، يمتلك ناصية اللغة العربية باقتدار يحسده عليه فقهاء اللغة وشيوخها . ولا أنسى ما قاله لى فى هذا الصدد صديقى وأخى الكريم الكاتب الروائى الكبير الأستاذ بهاء طاهر من أنه قد تعلم من جمال حمدان ومن أسلوبه فى الكتابة ما أعانه كثيرا

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

فى حياته العلمية ! وفضلاً عن أنه لم يكن ينسب إلى نفسه أى آراء ليست له ، فقد اتصحت أمانته العلمية بإثباته فى الحواشى كل المراجع التى اطلع عليها أو اقتبس منها . وهو من العلماء القلائل الذين لم تكن اقتباساتهم عن الكتب الأخرى مجرد نقول ، بل جاءت هذه الاقتباسات جزءاً لا يتجزأ من الموضوع الذى يعالجه .

وقد اخترنا أن نورد هنا ما خلص إليه صاحب شخصية مصر من استنتاجات خاصة ، بالسد العالى ، بعد أن درس هذا الموضوع من كل جوانبه وحل مشاكله ، فكتب يقول فى الجزء الثانى من هذه الموسوعة ، وتحت عنوان ، السد العالى فى الميزان ، :

طبيعى أن يكون السد العالى ، كأى مشروع من نوعه وحجمه ، موضع جدل وخلاف منذ نشأته بل من قبل إنشائه ومن بعده . على أن الملاحظ أن معظم ما قيل ويقال عنه يتطرق عادة إما نحو التهويل وإما نحو التهوين ، إيجاباً وسلباً . ومن هنا ففى مقابل النظرية ، المسرفة بالتأكيد ، القائلة بأنه هو الحل الشافى والرد المطلق على مشكلات الزراعة والصناعة والحياة المصرية ، كان هناك رأى متطرف يرفضه من حيث المبدأ ومن البداية . والواقع أنه قبل بناء السد كانت هناك

صاحب شخصية مصر/جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

مدرسة من هندسة الري في مصر ترى أن أى محاولة للتحكم في كل مياه النيل إلى آخر قطرة إنما هي محاولة ضد الطبيعة ، طبيعة الأنهار ، وأنها تنطوي على كارثة تامة .

أما بعد أن أصبح السد حقيقة واقعة فإن هناك ، ما زال ، من يتساءل عما إذا كانت مصر قد أصابت أم أخطأت في بنائه . بل لقد تعرض السد في السنوات الأخيرة إلى حملة محمومة شككت حتى في سلامة بنائه فنياً ، بينما صورت نتائجه على أنه « كارثة على مصر ، ونعنته « بكارثة أسوان » ، غير أننا ينبغي أن نتذكر أن هذه الحملة الضارية إنما بدأتها عناصر معادية لمصر ، وعناصر صهيونية بصفة أساسية .

هذا في الخارج . أما في الداخل فقد تصاعدت الحملة إلى أن وصلت حرقاً إلى حد الصيحة الوندالية « اهدموا السد ! » . غير أن دوافع هذه الحملة هي الأخرى كانت سياسية سافرة . ومن ثم لا محل لها من العلم .

على أن الخلاف داخل دائرة العلم لا يقل للأسف حدة وتطرفاً ،

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

مما يضع المواطن العادى غير المختص فى حيرة بالغة . فعلى الجانب السالب . يذهب رأى إلى أن ، ما حققه السد العالى لنا من مزايا لا يعد شيئاً بجانب ما جره وما سوف يجره علينا من مصائب ، . بل إن الأمر ليتعدى حساب المزايا والمضار إلى ، ضياع مصر كلها ، ، وأن المعركة ضد السد العالى باتت ، معركة مصير ، وعلى النقيض من هذا تماماً انتهى البعض الآخر إلى أنه ، قد لا يوجد مشروع سابق لمشروع ، السد العالى عاد بهذا القدر من الفائدة على هذا القدر من البشر وجدير بمن يقللون من قدر هذا المشروع أن ينظروا إليه من الجانب الصحيح من المنظار بعد وضعه فى البؤرة الصحيحة ، . أو فى قول آخر أن السد العالى يعد أكبر إنجاز فى تاريخ الشعب المصرى رغم الأقاويل والادعاءات ، . وبين هذه المواقف المتناقضة تماماً ، نستطيع علمياً وموضوعياً أن نلخص النقد الموجه إلى السد فى النقاط الست الآتية التى أسماها التحفظات الستة .

أولاً ، أنه إن لم يكن مشروعاً سياسياً بقدر ما هو مشروع هندسى ، فإن السياسة قد تداخلت وتدخلت فيه إلى حد بعيد على الأقل ، سواء

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

على المستوى الوطنى القومى فى العالم العربى أو على المستوى الإقليمى النهري فى حوض النيل أو على مستوى الصراع الدولى فى العالم بين الكتلتين ، بحيث أصبح مزيجاً معقداً من رمز الاستقلال الوطنى والأمن المائى والقوة السياسية . وفى النتيجة اختلطت فى المشروع دوافع المجد القومى مع الجدوى المادية . وفى النهاية تغلب فيه رأى الأوتوقراط على رأى التكنوقراط ، فقدم الأخير البدائل فقط بينما قرر الأول الأولويات .

ومن هنا أيضاً يشعر البعض أنه قرر وخطط فى عجلة ، نحو ٥ سنين فقط مقابل عشرات لمشاريع مماثلة أو أقل . كذلك يشعر البعض بأنه تم فى ظل سباق عنيف وصراع خفى ليس فقط فى مناخ الحرب الباردة ولكن أيضاً مع الادعاءات والمطالب والتحديات المائية لآخرين أشقاء وغير أشقاء فى حوض النيل واستباقاً لخطتهم فى فرض الأمر الواقع على مصر هيدرولوجيا وقطعاً للطريق عليهم لقطع طريق الماء عليها . فمثلاً كان السودان يعتزم تنفيذ مشروعات مائية من شأنها خفض إيراد النيل فى مصر .

صاحب شخصية مصر/جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

ثانياً ، السد فيما يرى هؤلاء النقاد لم يكن له داع أو مبرر ، وله بدائل عديدة ، وبدائله أفضل منه وأجدى . فإذا كان شرط الموقع الوطنى ضرورة مسلما بها من الجميع بما يستبعد مشاريع منابع النيل العليا كما اقترحها ميرودك مكدونالد ، فقد كان هناك اقتراح لمكدونالد أيضاً بتعلية خزان أسوان تعلية ثالثة يمكن أن ترفع طاقته التخزينية إلى ١٠ مليارات أى أكثر مما أضاف السد العالى إلى حصة مصر السنوية وهى ٧,٥ مليار . فإن قيل إن التعلية خطرة ، فقد كان من الممكن إقامة خزان ذى فتحات وعيون على غرار خزان أسوان نفسه ولكن فى موقع السد العالى ذاته ، بأبعاد أضعاف الأول وبأرياح أضعاف أرياح الثانى ، وبذلك يأخذ من كليهما محاسنه ومزاياه دون أضعاده ومثالبه .

غير أن من الضرورى هنا أن نصيف أن هذه الاعتراضات قابلة بدورها هى الأخرى للجدل والنقد . فلقد تحققت لجان دولية من الخبراء الهيدرولوجيين وكذلك الاقتصاديين من أن السد العالى هندسياً واقتصادياً كان أفضل البدائل المتاحة أمام مصر ، كما أثبت السد نفسه بعد بنائه خطأ كثير من الاعتراضات عليه سواء هندسياً أو هيدرولوجياً .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

ثالثاً ، من الناحية العملية البحتة ومن حيث المحصلة المائية الصافية ، فإن السد على عكس ما صور داعائياً محدود عطاؤه بدرجة لا تتناسب مع أبعاده وضخامته الهائلة وتكاليفه الباهظة ولا مع المشاكل والأخطار والملابسات التي اكتنفته في الماضي والحاضر والمستقبل فضلاً بالطبع عن الضجة والدعاية الداوية التي صاحبتة . فلوله الأولى ، يبدو السد بسعته الخرافية حصيلة تتعدى أعراض أحلام مهندسى الرى التقليدية ، مقيسة مثلاً بمستويات خزان أسوان والأولياء المتواضعة . على أن من الإنصاف والموضوعية بل الأمانة العلمية حين نقارن بين الطاقة المائية لكل من الخزان والسد أن نتذكر بالدقة الفارق بين التخزين السنوى والمستمر. فالأول إنما يمثل دخلاً متجديداً ، حيث الثانى رأسمال تراكمى . أما أن يقال وحسب إن السد العالى يحقق ١٥٧ ملياراً مقابل ٥ مليارات فقط لخزان أسوان ، فمقارنة خاطئة مثلما يمكن أن تكون مضللة أو مغرضة .

فإذا كان الخزان يوفر ٥ مليارات سنوياً ، فإن إضافة السد العالى السنوية إلى مائبة مصر ٧,٥ مليار فقط . أى ما يعادل مساهمة الخزان

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

مرة ونصف مرة لا أكثر ، أو مجموع ما كان يوفره خزان أسوان وخزان جبل الأولياء معا . وتلك هي الأبعاد الحقيقية والواقعية لوزن السد ودوره مائياً . ولعل هذه النقطة بالذات لم تبرز للرأى العام بما فيه الكفاية ، إن لم تكن قد حُجبت عنه عمداً . وفى هذا يقول وين أوين ، لعلها هي ضخامة وأهمية تلك المشاريع السابقة (خزان أسوان والأولياء) التي تستحق الأكثر أن تؤكد فى المقارنة ، . وعلى أية حال، فإن عطاء السد من الطاقة والكهرباء قد يفوق عطاءه من الماء نفسه . وحتى من ناحية الماء ، فإن عطاءه للسودان ضعف عطائه لمصر . أى أنه جاء لمصلحة السودان ولحسابه أكثر منه لمصلحة مصر أو لحسابها .

رابعاً ، من الناحية العملية والعلمية معاً ، فإن السد يثير من المشاكل أكثر مما يحل أو قدرها ، وحتى هذه الحلول ليست بالمثالية الكاملة ، بل إنه ليكاد يهزم أغراضه بنفسه . فعدا مشكلة النحر الخطرة ومشكلة الصرف الباهظة وسائر الآثار الجانبية العديدة ، فإنه لا يحقق هدف الوفرة المائية ولا الأمن تماماً . فلئن كان السد يوفر الحماية ضد

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملامح من عبقرية الزمان

الفيضان الضعيف ، فقد اتضح أنه لا يوفر الحماية ضد الفيضان العالى المتتابع إلا جزئياً . ولكن كان قد حاز الأفضلية على مشاريع البحيرات الاستوائية فى أعلى النيل لأنها لا تعطينا إلا المياه الرائقة دون مياه الحبشة الغربية ، قدراً معيناً من مليارات الأمطار المكعبة ، فإنه بحشائش المجارى التى نشرها على امتداد مصر قد بدد نحو نصف هذا القدر إلا قليلاً .

وليس رداً- يستطرد النقاد أصحاب هذا الرأى - أن يقال : إن الآثار الجانبية للسد متوقعة محسوبة وعلاجها معروف أو قيد البحث أو التنفيذ . فأنت بذلك إنما تعالج خطأ أكبر بسلسلة لا نهاية لها من الأخطاء الأصغر ، أى بسياسة الترقيع الجزئى المستمر . وحتى عند ذلك ، فإن هذا كله يمثل إنفاقات وتكاليف متزايدة تسحب فى النهاية من مزايا وفوائد ووفورات السد نفسه ، بحيث تتضاءل اقتصاديته باطراد . فمثلاً إذا كان المشروع أصلاً قد تكلف بضع مئات من الملايين من الجنيهات ، فيكفى أن نذكر أن مشاريع الصرف المرصودة حالياً تجرى فى بضعة بلايين من الجنيهات . أى نحو عشرة أمثالها .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملاح من عبقرية الزمان

خامساً ، واتصالاً بالنقط السابقة . يلاحظ البعض أن السد العالي بكل ما يعنى ويمثل لم يكن له على الزراعة المصرية حتى الآن مثل ذلك الأثر الدرامى الهائل الذى كان لخزانى أسوان والأولياء رغم أن صافى ما يوفره سنوياً يعادل مجموع ما كان يوفرانه . وفى هذا يتساءل وين أوين ، لم لا يلبغى أن يكون لسبعة ونصف مليارات مكعبة ثانية من موارد المياه ، الفصلية ، - أى الصيفية - أثر على نمط استغلال الأرض يعادل أثر الأولى على الأقل فى ضخامته ؟ . ولا شك أن المفروض أن يثور السد العالي الزراعة المصرية تثويراً وكما لم يثورها أى مشروع سابق للرى الدائم . وهناك إجماع عام على أن ثورة زراعية جذرية ما لم تواكب ثورة الرى المتمثلة فى السد . غير أن السد نفسه قد لا يكون مسئولا عن ذلك ، وإنما هو قصور الزراعة ذاتها وتخلفها . وعلى أية حال فلعل هذه الثورة المرتقبة مسألة وقت فقط .

سادساً ، وأخيراً ولكن ليس بالتأكيد ، فإن السد يمثل مخاطرة كبرى تصل إلى حد المغامرة ، إن لم يقل البعض المقامرة . والإشارة هى بالطبع إلى احتمالاته المستقبلية الغامضة وكل ما يجازف به من تغيير

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

مجهول النتائج والمدى فى طبيعة النهر والوادي ويتعلق بصميم الوجود الطبيعى لمصر ذاته . ولكن يرد أنصار السد على هذا بالنفى . فعندهم أن الآثار الجانبية ، للسد إن هى إلا كظل العمارة ، ولا خطر على مصر أرضاً ووادياً ونهراً ونحراً . الخ . الدليل على ذلك فى دفعهم أن الواقع قد كذب تباعاً كل توقعات ونبؤات المشككين القائمة فضلاً عن مبالغاتهم المسرفة .

فهؤلاء مثلاً قدروا فى ١٩٥٦ وقبل إنشاء السد أن البحر الشامل سيصل إلى ٥٤ متراً فى قاع المجرى ، وذلك على أربع دفعات بمتوسط ١٤ متراً كل دفعه ، وأن معظم هذا البحر سوف يحدث فى العامين الأولين من بناء السد . فلما بدأ إنشاء السد ومضت سنوات دون أن تتحقق هذه النبوءات ، عادوا فقالوا : إن القاع سوف ينخفض إلى عمق مترين بعد ٥ سنوات من التشغيل وإلى ٣ أمتار بعد ١٠ سنوات . فلما لم يحدث هذا أيضاً ، عادوا فى ١٩٧٦ فقالوا : إن ٨٣ ٪ من البحر الشامل سوف يتم بعد ١٧ سنة من بدء التشغيل أى فى ١٩٨٥ ، وأن عمق النهر بين إسنا ونجع حمادى سيصل إلى ٦,٦٥ متر ، وخلف قناطر نجع

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

حمادى سيكون ٨,٤ متر ، وخلف قناطر أسيوط ٦,٤ متر . غير أن الذى حدث بالفعل أن معدلات البحر السلوية لم تتجاوز حالياً ٢,٢ سم بين أسوان وإسنا ، ٣ سم بين إسنا ونجع حمادى ، ٢,٥ سم بين نجع حمادى وأسيوط ، ٠,٤ سم بين أسيوط والقاهرة وهذا كله وغيره ما يؤكد سلامة مستقبل الوادى طبيعياً .

إزاء هذا الرد ، يعود البعض فيثير على رأس الأخطار الكامنة والمستقبلية قضيتين تضريان فى صميم الأمن القومى المصرى ، إن لم يكن الوجود القومى المصرى ذاته . فأولا ، هناك التهديد بالدمار الذى ستعيش مصر تحت رحمته إلى أجل غير مسمى . فبحيرة ناصر - ١٢٠ مليار متر مكعب على الأقل - ككتلة مائية جبارة تستقر فى أقصى جنوب مصر وعلى أعلى ارتفاعها أى على كتفها أو رقبتها أو رأسها هى أشبه ما يكون بقليلة ذرية معلقة فوق رأسها قد تنفجر فى أى لحظة ، إذ ، لو حدث ما يؤدى إلى انسياب المياه بلا رابط من البحيرة ، فإن التخريب الذى تحدثه فى مصر سيكون أضعاف أضعاف ما أحدثته قنبلة هيروشيما ، . وفى هذا الصدد ، فلقد أثبتت الأبحاث أن منطقة

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملاح من عبقرية الزمان

البحيرة قد أخذت تتعرض للزلازل الموضعية نتيجة لثقل كتلها المائية الهائلة .

إلى جانب هذا الخطر الطبيعي الباطنى أو الأرضى ، هناك خطر ضرب السد بالقنابل من الجوفى الحروب . وليس سراً أن هذا التفكير قد خامر أذهان العدو الإسرائيلى فى وقت ما فى السنوات السابقة . ومهما كثفنا من حلقات الدفاع الجوى الفائق التطور حول السد . فإنه لا يستبعد الخطر تماماً . ومما له مغزاه أن الخبراء السوفيت الذين تولوا بناء السد نصحوا مصر بتفريغ بحيرة ناصر بمعدل ٦٠٠ مليون متر مكعب فى اليوم لتصفيتها بسرعة فى حالة الحرب أو التهديد بها ، رغم أن هذا المعدل جدير بأن يخرب الوادى والمجرى كله شمال السد .

والخلاصة الصافية أن السد العالى وإن كان قد تحاشى الموقع خارج الحدود وحقق شرط الموقع الوطنى ضماناً للأمن القومى سياسياً ، فإنه لم يقلت من أخطار الأمن القومى لا طبيعياً ولا عسكرياً .

ثانياً ، هناك السؤال المؤجل عادة . لأنه بعيد الأمد نسبياً ، وهو : وماذا بعد السد العالى ؟ ماذا بعد أن تمتلئ بحيرة ناصر إلى قمتها

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

بالطمي وتتحول إلى دلنا مرئية بارزة بعد ٥٠٠ سنة كالمقدر ؟ ثمة احتمالان لا ثالث لهما : إما أن يشق النيل مجرى جديداً له إلى البحر المتوسط عن طريق الصحراء الغربية ، أى شىء كت تحقيق مخيف مروع لنهر بلانكهورن الجيولوجى الافتراضى ، النيل الليبى ، الغابر ، وإما أن يقتحم الوادى ليحتله من جديد حيث لن يكون له مكان فى نظام الحياة القائم فيه حينذاك .

وفى معرض دراسته التى أوردها فى نفس هذا الجزء من موسوعته ، والتى تناول فيها موضوع « قناة السويس ، فى السياسة والاستراتيجية ، تحدث عن نتائجها وآثارها ، فقال :

أما عن نتائج القناة الاقتصادية ، فمن السهل أن نقول إن أوربا الغربية تدين للقناة بالجزء الأكبر من طفرتها الصناعية والحضرية الحديثة حتى وصلت إلى درجة التشبع وما فوق التشبع .
over - industrialization
فهى التى قربت ثروات المستعمرات والمداريات ووضعتهما عند أطراف أصابعهما بأرخص التكاليف والأسعار .
وهى التى قدمت لها الخامات والأسواق فى عصر الفحم فى القرن

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملامح من عبقرية الزمان

التاسع عشر ، وهى الآن التى تقدم لها الوقود مع الخامات مع الأسواق جميعا فى عصر البترول فى القرن العشرين . هكذا إن لم يكن الغرب يدين للقناة بثورته الصناعية الأولى ، فإنه بلا ريب يدين لها بثورته الصناعية الثانية . وإن لم يكن يدين بأى منهما لها فى البداية ، فهو بكل تأكيد يدين لها بتعميمها فى النهاية .

بل لقد يقال ، أكثر من هذا ، إن القناة مسئولة عن مساعدة الغرب على نزع ثروات مستعمرات الخام ووآد فرص التصنيع بها . غير أن مصر نفسها - ودعك من فضلها المجهود - كانت ضحية مماثلة . فلقد ظلت القناة معزولة عن الاقتصاد المصرى لاتساهم فيه الا رمزاً ذلك لأن مصر لم تكن تملك القناة وظلت مجرد متفرجة ، لا مستثمرة . فمثلا بلغ دخل القناة فى ١٩٥٥ نحو ٣٥ مليون جنيه . كان نصيب مصر منها مليون جنيه فقط . أى ٣٪ تقريبا . هذا بينما عاد الاستعمار ، وخاصة بريطانيا التى ورثت من قبل موقع مصر الجغرافى فى الوسيط ، ليسرق موقعها الحديث .

ولكن منذ الاسترداد ، ولأول مرة منذ حفر القناة تحققت تلك

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملامح من عبقرية الزمان

العلاقة المسلوقة ، ولم يعد شك في خطورة دور الموقع في البناء الاقتصادي المصري . فمئذ التأميم ، وقبل الإغلاق ، ودخل القناة الخالص يقفز بانتظام ، فكان يطفر بمعدل ١٠ ملايين جنيه في بضعة سنين ، حتى كانت تضخ في الاقتصاد القومي ٩٥ مليون جنيه سنة ١٩٦٦ - عملة صعبة خالصة . فإذا علمنا أن محصول القطن لم يكن يغل أكثر من ذلك كثيراً جداً ، أدركنا أن هاهنا في الموقع ثروة قومية ثانية ومحصولاً وطنياً أساسياً .

وإذا علمنا بعد ذلك أن هذه الحصيلة كانت توجه وجهه بناءة هي السد - وقد أشرنا من قبل إلى العلاقة الأسية بين عملية القناة وعملية السد ، سياسياً ، واستراتيجياً ، تأمراً استعمارياً ونضالاً وطنياً - أدركنا أننا بهذا كنا نوظف القناة على الدليل ونستثمر الموقع ، الذي هو بطبيعته عنصر خارجي لا يمكن التحكم فيه تماماً ، في الموضع الذي نملكه مباشرة . ونحن بهذا لم نكن نكثف اقتصاد الوادي فقط وإنما كنا نعمق أساسه أيضاً . وبهذا أيضاً فإذا كان الموضع - الوادي - قد حقق الموقع - القتال - بعماله ومائه وسكانه ، فقد بدأ الموقع الآن يرد دينه إلى الموضع .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

تطور قناة التأميم

السنة	عدد السفن والناقلات	الحمولة الصافية بالطن	الإيراد بالمليون جنيه
١٩٦٠	١٨٧٣٤	١٨٥٣٢٢٠٠٠	٥٠
١٩٦١	١٨١٤٨	١٨٧٠٥٩٠٠٠	٥٢
١٩٦٢	١٨٥١٨	١٩٧٨٣٧٠٠٠	٥٤
١٩٦٣	١٩١٤٦	٢١٠٤٩٨٠٠٠	٧١
١٩٦٤	١٩٩٤٣	٢٢٧٩٩١٠٠٠	٧٨
١٩٦٥	٢٠٢٨٩	٢٤٦٨١٧٠٠٠	٨٦
١٩٦٦	٢١٢٥٠	٢٧٤٤٦٦٠٠٠	٩٥

غير أن علينا بعد هذا أن ندرك تطور وظيفة القناة عبر تاريخها المفعم . فلقد بدأت القناة واستمرت طويلا كحلقة الوصل بين الغرب والشرق الأقصى ، ولكن بين بريطانيا والهند بخاصة . بيد أنها منذ الحرب العالمية الثانية تقريباً، ومع تفجر البترول في الشرق الأوسط ، أصبحت حلقة الوصل بين أوروبا الغربية بعامه وبين الشرق الأوسط بخاصة ، أكثر منها بين بريطانيا بخاصة وبين الشرق الأقصى بعامه .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

وأهم من ذلك كما رأينا أن القناة تحولت من شريان الإمبراطورية التقليدي إلى دور شريان الزيت . فلقد كانت حركة البترول في القناة تمثل تقليدياً أكثر من ٧٠ ٪ من مجموع الحمولة العابرة ، بينما كانت هي بدورها تحتكر نقل ٧٠ ٪ على الأقل من بترول الشرق الأوسط المتحرك غرباً .

وبطبيعة الحال فلقد عكست القناة نفسها هذا التطور الجذري . فإلى ما قبل عصر البترول وأثناء عصر الفحم ، كانت تجارة الشمال تتألف أساساً من المصنوعات ولكن تكتمل بقدر معلوم من صادرات الفحم ، خاصة من بريطانيا ، فحامة العالم ، حينذاك ، وكان هذا الفحم يذهب إلى بلاد الجنوب لأغراض الصناعة والأغراض المنزلية وكوقود للسفن البخارية على طول الطريق البحري .

ولكن الطريف أن هذا النمط السلعي قد انقلب رأساً على عقب بعد البترول . فقد حل البترول من الجنوب محل الفحم من الشمال ، وبدلاً من ذيل القائمة الذي كان الأخير يحتله ، احتل الأول الرأس بل أصبح هو في الحقيقة كل شيء في حركة القناة تقريباً وذلك على حساب

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

« البضائع الجافة » ، بينما أصبحت القناة نفسها فى الواقع قناة البترول فى الدرجة الأولى حتى باتت العلاقة بينهما علاقة مصير عضوية كذلك التى بين منابع النهر وروافده وبين فروعه ومصابه . والحق أننا نستطيع بطريقة ما أن ننظر إلى تدفق البترول عبر القناة كتدفق نهر حقيقى ، نهر البترول ، نهر صحراء العرب الوحيد ، له منبعه ومصبه ومجره : المنبع الأساسى هو الخليج العربى . والمصب الأساسى هو أوروبا الغربية ، والمجرى الأساسى هو طريق السويس .

وهكذا أيضاً نشأ « زواج اقتصادى » وثيق بين بترول العرب وقناة العرب ، وكانت القناة بلا جدال أهم ممر عالمى استراتيجى لأهم سلعة استراتيجية فى العالم وفى ظل هذه العلاقة العضوية الحاسمة والحتمية والمخضبة باتت تنمو مع البترول صعدا فى علاقة طردية موجبة ، حركة ودخلا ، عمقا واتساعا ، لا سيما بعد معركة التأميم التى نقلت القناة إلى السيادة والملكية المصرية المطلقة فبدأت معها مشروعات التوسيع الطموح التى استهدفت مضاعفة طاقة القناة إلى أقصى حد ممكن .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

ولقد جاءت حركة البترول المتسارعة لتعطى القناة بطبيعة الحال دفعة عظمى جديدة ، جددت شبابها مرة أخرى ، وجعلت منها لأول مرة مصدراً هاماً من مصادر الدخل القومى ، بحيث يمكن القول : إنها أصبحت بمثابة واد آخر مصغر أضيف إلى الوادى الأخضر . إن يكن الدليل ، بعبارة أخرى ، شريان مصر ، فقد أصبحت القناة وريدها . وبالتالي - نحن نخلص - فإن تكن القناة عنق مصر استراتيجيا ، فقد أصبحت كذلك حبل الوريد اقتصاديا . وتلك فى مجملها بلا زيادة ولا نقصان هى مكانة القناة ومكانها فى كيان مصر فى السلم وفى الحرب . ورغم تعاظم دور القناة ودخلها المطرد ، إلا أنه للأسف أخذ يتضاءل نسبياً إذا ما قورن بمجمل تدفق عائدات وأرباح بترول الخليج ، وذلك كنتيجة لتغير العلاقة بين القناة والخليج . وقد تزايد هذا الاتجاه مع الطفرة الهائلة ثم المذهلة فى الوضع إلى أقصاه بعد حرب أكتوبر التى دفعت بأسعار البترول إلى آفاق لم تكن متصورة قط من قبل . ولم يعد هناك الآن تناسب أو مجال للمقارنة بين دخل القناة المحدود الذى لا يتعدى سقفه المليار وبعض المليار دولار مؤخراً ، وبين دخل بترول

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

الخليج بأرقامه الفلكية التي تدور الآن حول مئات البلايين من الدولارات .

أما موقع القناة التقليدي والراهن من الدورة الدموية للبترول في العالم بالتفصيل فتوضحه مجموعة الحقائق والأرقام الآتية . في ١٩٧٣ بلغ إنتاج الشرق الأوسط حول الخليج أكثر من ٧٠٠ مليون طن تمثل نحو ٣٧ % من الإنتاج العالمي ، ونحو ٤٣ % من الصادرات العالمية . أما عن استهلاك أوروبا الغربية من البترول ، الذي وصل في ١٩٧٠ إلى نحو ٥٩٠ مليون طن ، فإن حوالي ٣٥٠ مليون طن منها أي زهاء النصف (٤٦ %) أتى من الخليج العربي . أما عن القناة ، ففي آخر عام قبل إغلاقها ، أي في ١٩٦٦ ، كان ٩٥ % من البترول المنقول عبرها يأتي من الخليج العربي ، بينما ذهب ٩٢ % من بترول القناة إلى أوروبا الغربية وحدها ، والباقي إلى الولايات المتحدة وكندا ، وفي الوقت نفسه قدم البترول ٧٣ % من إيرادات القناة .

في أبسط صيغة تخطيطية إذن ، تتحدد استراتيجية المواقع الحاسمة في جغرافية البترول في العالم القديم في مثلثين أساسيين ، واحد للإنتاج

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

والاستهلاك ، وآخر للاستهلاك والنقل . فالأول رؤسه الخليج العربى كقطب الاحتياطى والإنتاج والصادر ثم أوروبا الغربية من ناحية كقطب الاستهلاك الأساسى للبترول الشرق الأوسط ، وأخيراً اليابان من الناحية كقطب الاستهلاك الثانى . أما المثلث الآخر فروسه قناة السويس كمركز النقل الأول . ثم أوروبا فاليابان . فإذا جمعنا المثلثين معاً فإنهما يندغمان فى شكل معين أو شبه منحرف تقريباً أطرافه هى رابعة اليابان - الخليج - القناة - أوروبا الغربية . وتلك هى الدائرة الكهربائية الأساسية لحركة البترول فى نصف الكرة الشرقى .

بهذا الهيكل الأساسى فى الذهن . يمكننا الآن أن نفهم كل التطورات التى تعرضت لها القناة فى السنوات الأخيرة وعلاقات التنافس أو التوازن المحيطة بها . فالقناة طريق ، وكل طريق فهو موقع ، وكل موقع فهو نسبى ، وكل نسبى فهو متغير . وذلك بالدقة صميم الموقف ومفتاحه . فكل طريق جغرافى جديد أو بديل . وكل وسيلة تكنولوجية جديدة لنقل البترول ، وكل تغيير فى توزيع حقول إنتاج أو سوق استهلاك البترول ، فضلاً عن كل بديل مستحدث للبترول نفسه ، أو بعبارة شاملة كل تغيير فى جغرافية النقل والإنتاج

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

والاستهلاك ، يعد بمثابة متغيرات تنعكس آثارها مباشرة على القناة إن سلباً أو إيجاباً . وتعيد تقييمها إلى حد أو آخر ، بل ويمكن نظرياً أن تنتهى إلى عملية أسر نقلية خطيرة . وعلى هذا الأساس يمكننا أن نحصر التحديات الرئيسية التى تواجه القناة فى ثلاث : متغيرات البترول . الأنابيب ، الناقلات العملاقة .

وقد تناول أساتذة الجامعات العربية والأوروبية ومراكز البحوث التابعة لها ، هذه المؤلفات بالدراسة المتعمقة والتحليل العلمى ، وهو ما حدث فى جامعة الجزائر، وجامعة ماكجيل فى كندا ، وجامعة فرايبورج فى ألمانيا ، ونشرت ابحاثهم ومقالاتهم بالمجلات والدوريات العلمية .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملاح من عبقرية الزمان

لم يكن أخى يحتفى بالجوائز أو الأوسمة رغم أنها كانت تأتي
إليه تخرجاً أذيا لها ، دون أن يسعى إليها أو ينتظرها .

وأذكر أننى كنت فى مساء يوم من أيام شهر يونيه فى مكتبى
بجريدة « الجمهورية » ، فإذا بالسيدة الفاضلة الأستاذة نفيسة الصريطى ،
التي كانت تعمل محررة بها ، والتي كان والدها زميلاً للوالد فى المملكة
العربية السعودية ، تقول لى : مبروك ! لقد حصل دكتور جمال حمدان
على جائزة الدولة التشجيعية ! فهرولت إلى جمال فى الدقى لأزف إليه
النبا السار . واستقبلنى بابتسامته المعهودة ، وقال لى بهدوء : لقد عملها
الدكتور حزين ! ولما وصلته شهادة الجائزة أهداها إلى العائلة ، وتم
بروزتها ووضعها بغرفة الاستقبال - وما زالت حتى الآن !

وحضرت إلى القاهرة فى صيف سنة ١٩٨٦ ، وكان جمال قد
حصل على جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية . ولما

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملاح من عبقرية الزمان

قدمت له خالص التهنية على هذا التقدير الذى صادف أهله ، قال لى
والابتسامة لا تفارقه : لقد رفضتها يا عزيزى ، وأعدتها ب خطاب إلى
الراسل !

والواقع أنه كان يرفض كل ما يأتى من أى جهة رسمية ! وكان
قد أدلى بعبدة أحاديث عن هذه الجائزة نشرت فى حينه .
ومنحة أمير الكويت فى نفس العام ، أى عام ١٩٨٦ ،
جائزته للنقد العلمى ، وقدرها أحد عشر ألف دولار أمريكيا ، فتقبلها من
المبعوث الكويتى الذى زاره فى بيته المتواضع ، وأخذت له بعض
الصور التذكارية وهو يتسلمها . وفى اليوم التالى أرسل قيمة هذه الجائزة
إلى شقيقى الأصغر اللواء عبد العظيم - وهو من أبطال حرب أكتوبر -
لتوزيعها على شقيقاتنا وإبنائهن ...

هذا وقد منحته الدولة وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى سنة
١٩٨٨ ، ولكنه لم يتسلمه ، وأرسل إليه مع مخصوص عند تشييع
جنازته ... !

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

وكان أخى عدوا لدودا للصهيونية والاستعمار الأجنبى - أيا كان وجه هذا الاستعمار . وكان دائما يحذر من أن النفوذ الأجنبى أيا كان لونه ودينه ، والصهيونية ، والتمزق العربى ، وضعف العالم الإسلامى ، وفقدان العدل الاجتماعى ، والطغيان السياسى ، هى ألد أعداء مصر . وقد تناثرت أفكاره ووجهات نظره حول هذه الأمور فى معظم كتاباته . وكانت قضية فلسطين هى قضيته الأولى وشغله الشاغل . وصرح بأن الكارثة التى تعرضت لها فلسطين على يد الصهيونية الإسرائيلية هى سابقة ليس لها مثيل قط فى تاريخ العالم الحديث ، ولا العالم الإسلامى ولا العالم الثالث . وكان يرى أن الخطر الصهيونى لا يستهدف الأرض المقدسة فى فلسطين فحسب ، وأن تهديدها لا يقتصر على العالم العربى وحده ، وإنما يمتد إلى العالم الإسلامى أيضا وضمنا . وكان يندد بهذا وما يحاك لنا فى الخفاء والعلن ، ويقول : إن الصهيونيات اليوم هى أكبر خطر وتحد يواجهه العالم العربى ، وأن تحرير فلسطين « هو » وحدة العالم الإسلامى السياسية ، وأن وحدة العالم الإسلامى إنما « هى » فلسطين !

وكان يؤمن بالعروبة ، ويعتقد أن القومية العربية - مخالفا فى ذلك

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملاح من عبقرية الزمان

الأستاذ ساطع الحصرى - نظرية نابغة من أرض الواقع بكل إيجابياته وسلبياته ... وعلى العرب أن يقوموا بتطويرها علميا وعمليا لتواكب المتغيرات العربية والعالمية . وقد تبلور هذا الاتجاه وتجسد فى مؤلفاته العديدة التى تناولت عالما العربى بالدراسة والتحليل . وكان يؤكد فيها على أن مركز ثقل العروبة البشرى والسياسى والعسكرى يوجد فى مصر ، قلب العروبة النابض ، وأن الطبيعة زودتها وحببتها بكل الصفات التى تحتم عليها أن تقوم بدور الزعامة الذى لايعتبر تشريفا أو تخليدا بل هو تكليف من الجغرافيا وتقليد من التاريخ ، وليس أبهة بل مسئولية فادحة تفرضها الطبيعة ...

كان هو أول من تكلم عن احتمالات تفكك الاتحاد السوفيتى السابق ، وحذر من عواقبه وأثاره . كما حذر فى كلامه عن مدينة القاهرة ، من الانفجار السكانى فيها ، وكان ذلك عام ١٩٦٩ ، عندما كان سكانها لا يزيدون على خمسة ملايين نسمة !

لقد فتح أبوابا جديدة للمعرفة لم تطرق من قبل . وكان يوظف الجغرافيا لغايات أسمى ، مازجا بين فلسفتها وفلسفة التاريخ ، وبينها وبين علوم وفنون شتى لكى يصل إلى نوع جديد من المعرفة بأسلوب

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

مبتكر يخرج عن المفهوم التقليدي للجغرافيا ، وهى تخصصه الدقيق .
ولم ينجح فى ذلك إلا بفضل عزلته التى استثمرها أحسن استثمار ،
فأبدع وابتكر بشكل فردى وفريد فى آن واحد ! وكان رغم عزله
أكثر إدراكا و تفاعلا مع الواقع ومع الأحداث ، وأغزر إنتاجا وأصدق
قولا ! فقد كان حاد الملاحظة ، سريع الفهم ، نافذ الذكاء . وكان صارما
فى حياته كما كان صارما فى منهجيته العلمية ، لا يسمح بأى نوع من
الانفلات أو التسبب . وكانت له قدرة خارقة على التحليل العميق وعلى
التوليف السليم ، واستشراف المستقبل . وكان لا يبدى رأيا فى موضوع
إلا بعد دراسات مستفيضة والرجوع إلى مصادره ومظانه . وكان فى
كل ذلك ثابتا على مبدأه ، لا يتحول ولا يتغير . وكان يتحلى بصفات
هامة هى التى تجعل من المثقف مثقفا على أرفع المستويات ، فقد كان
دائما طُلعة ، طالبا للحقيقة مهما كلفته ، طارحا للأسئلة ومحاولا العثور
على إجابات لها . وكان لا يلبث يلج فى البحث ، ويلج فى السؤال إلى
أن يعثر على بغيته ، فتتهلل أساريره وتغمره السعادة ...
ورغم تواضعه الجم ، فإنه كان معتدا بنفسه ويعلمه . حدث أن
نظمت جريدة « الأهرام » القاهرية ندوة لنقد ما كتبه عن الرى

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملاح من عبقرية الزمان

ومياه النيل ، ونشرت أبحاث هذه الندوة على صفحة كاملة كلها هجوم عليه . فهب للدفاع عن نفسه ، وذهب إلى « الأهرام » وسلم من قابله هناك وجهة نظره كتابية ، وهى تتلخص فى أن كل ما قاله بهذا الخصوص إنما بناء على ما نشرته جريدة الأهرام ، وأنه ذكر ذلك صراحة فى الحواشى .

وكانت جريدة الأهرام قد عرضت عليه أن يوافيها بمقال أسبوعى ، ولكنه اعتذر عن ذلك لكثرة أعماله .

ومن الصعب ، بل من المستحيل ، حصر كل أفكاره ونظرياته فى هذه العجالة ، فالأمر يحتاج إلى قراءة متأنية ومتعمقة لكل مؤلفاته وأبحاثه ، وإلى تأمل الرؤية العميقة التى قدمها ، والتوقف أمام تشخيصه لكل القضايا والمسائل التى تهم الإنسان المصرى بصفة خاصة ، والإنسان العربى بصفة عامة . فقد كان لا يستخلص مما يكتبه أحكاما أو أقوالا مبتسرة ضامضة يتأولها كما كان الناس يتأولون أقوال الكهنة ، ولكنه كان يتبين بنور عقله ويستشف بقوته البصرة ما سيحدث فى المستقبل . ولا نزاع أن تقديره للغايات البعيدة وحسابه للمقدمات التى تؤدى إليها ، والحيرة التى سيتعرض لها عند كل رأى يبدىه ، كلها أمور

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

كانت ترهقه فى آخر الأمر . فالعلم عنده لم يكن مجرد سرد أو إثبات وقائع أو تقرير حقائق ، ولكنه ربط الواقع والحقائق بعضها ببعض على نظام متسق ومطرد يصدق على أوسع مدى . والاتساق والاطراد والشمول صفات لا يبلغها العالم إلا عند تمام إدراكه لأكبر عدد من الظواهر المتشابهة والمعارف المتكاملة .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

كانت أطول فترة عشناها معا هي الفترة التي امتدت من أيام طفولتنا وحتى صار كل منا شابا يافعا ، ففترقت بنا السبل وتشعبت بنا الطرق ، ولكننا كنا دائما نلتقى على الحب والشوق .
ولا تخلو هذه الفترة من ذكريات ما زال بعضها يعلق بذاكرتي ومخيلتي .

فكان والدى - مع صغر سننا - يحثنا على الصلاة ، ويرغبنا في الذهاب إلى الجامع لصلاة الجمعة مع الجماعة . وطلبت من جمال أن يصحبني معه إلى الجامع لتأدية صلاة الجمعة ، وكانت أول مرة لي ، فرحب بذلك وأشرف على وضوئي وملابسي - فهو شقيقى الأكبر ! - ثم توجهنا إلى جامع فطين باشا بشارع التوفيقية - وهو مكان يقع على بعد أمتار من منزلنا - وهناك وقعت فى المحذور ، وسهوت عن الصلاة لحظة ، فخلطت بين السجود والركوع ! فأمسك بيدي بشدة ، ونظر إلى

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملامح من عبقرية الزمان

نظرة اعتدلت بعدها فى صلاتى ! ولم أسلم من التأنيب بعد الصلاة !
وأذكر أننا لما كنا فى المدرسة الثانوية ، أرسلنا والدى بإيعاز من
زميله الأستاذ عفيفى إلى منزل هذا الأخير لحضور درس الدين الذى
كان يلقيه على شبان الحى . وذهبت مع أخى إليه ، فوجدنا هناك قرابة
عشرة شبان ، ثم وزع علينا الأستاذ عفيفى الأقلام والأوراق ، واستمعنا
إلى درسه ، ففهمنا منه أنه عضو فى جماعة الأخوان المسلمين ، وأننا
إذا ما واطبنا على الحضور ، فإننا سنصبح أعضاء فى تشكيله الذى كلف
بتدريبه وتأهيله . ولما حان موعد الدرس الثانى ، أفهمنى والدى بأننى
مازلت صغيراً وأن أخى جمال هو الذى سيذهب إلى هناك . وحمدت
الله لأننى لم أكن قد فهمت أى شىء مما قاله الأستاذ عفيفى فى درسه
الأول ، وربما شعر بذلك وكلم والدى فيه ، وأن يقتصر الحضور على
أخى جمال . ولكنه بدوره أصر على عدم الذهاب بحجة أن لا وقت
لديه ، وأنه مثقل بالدروس التى عليه أن يستذكرها !
ولما كبرنا وذهب كل منا إلى حال سبيله ، وباعدت بيننا هموم
الدنيا وشواغلها ، وأسفارى الدائمة خارج البلاد ، كنت أتلهم على
رؤيته للاطمئنان عليه وعلى أحواله كلما عدت إلى القاهرة .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

وحدث في إحدى المرات ، وكنت أزوره مساءً في فصل الشتاء في بيته بالدقى ، وكنا نتسامر في هدوء الليل ، فإذا بصوت بائع الفجل يقطع هذا وهو ينادى على بضاعته : ريان يا فجل وراور يا فجل ! قطع أخى الحديث ، ونظر إلى قائله : تصور أنه يسير في الشوارع في عزّ البرد ، وأراهنك أنه أيضا يسير حافيا ، وهو ما يدل على أنه في منتهى الصحة ! وأضاف : لينه يبادلنى صحته ويأخذ جميع شهادتى ! وكان يعانى في ذلك الوقت من الآلام بسبب احتقان فى الأمعاء الغليظة .

والى جانب هوايته لسماع الموسيقى وحضور أمسياتها فى جمعية ، (الجرامفون) فى كليته ، كان مولعا بحضور المزادات العلنية ، وصحبته مرة إلى إحدى هذه المزادات فى جاردن سيتى حيث كان يجرى بيع محتويات فيلا أحد العظماء ، وكان يتوقف أمام قطع الأثاث والسجاجيد شارحا لى عصورها ومواطن صنعها !

وكثيرا ما لجأت إليه لاستشارته وأخذ رأيه فى بعض شئونى ، وكان رحب الصدر ، طويل الأنأة . وكنت قد حضرت مرة إلى القاهرة من باريس - حيث كنت أعمل وأقيم - لأستشيرته خصيصا فى موضوع

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملامح من عبقرية الزمان

رسالتى لدكتوراه الدولة الذى سجلته فى جامعة السربون . وقد ورطنى أستاذى المشرف على الرسالة باختيار موضوع صعب وشائك هو موضوع « البدو فى مصر فى العصور الوسطى » ، وهو عبارة عن دراسة تاريخية للقبائل البدوية التى دخلت مصر منذ الفتح العربى وحتى الفتح العثمانى لمصر . وأسقط فى يدى بعد أن تبين لى أن معلوماتى ومعلومات أستاذى لاتفى بالغرض ، وأن القلقشندى والمقريزى لا يكفیان لكتابة رسالة دكتوراه دولة ! ذهبت إليه وأنا أعلم أن هذا ليس بتخصصه الدقيق ، وما أن عرضت عليه قضيتى حتى هون على الأمر ، وزودنى بقائمة للمراجع ، ونصحنى بالنفس الطويل وعدم الاستعجال لأهمية الموضوع وريادته . وقد تلقى أخى نبأ حصولى على درجة دكتوراه الدولة مع مرتبة الشرف بفرحة عارمة وأرسل لى خطابا يهنئنى فيه على هذا الإنجاز الرائع . ولما نشرت رسالتى فى شكل مقالات بالمجلات العلمية الأوروبية ، أرسلت إليه بطبيعة الحال نسخا منها ، فاقتبس منها ما شاء له الاقتباس ، وأشار إليها فى الجزء الثانى من موسوعته « شخصية مصر » (صفحة ٣٠٠ وما بعدها) . وكنت حتى ذلك الوقت أكتب مقالاتى وأوقعها بإمضاء

صاحب شخصية مصر/جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

« عبد الحميد صالح » ، وهو الاسم الذى عرفت به حتى تاريخ وفاة والدى ، عندما اضطررت إلى إضافة اسم « حمدان » ، وهو اسم العائلة ، إلى اسمى لإثبات الوراثة . وتم ذلك بناء على طلب والحاح أخى جمال .

وكانت زوجتى ، وهى عالمة مصريات فرنسية ، وبعد أن وقفت على ما يتمتع به جمال من علم غزير وعلو كعب فى كل ما يتعلق بمصر ، تعرض عليه بحوثها لأخذ رأيه قبل نشرها فى المجالات العلمية ، لا سيما ما يتعلق منها بسكان مصر فى عصر ما قبل التاريخ ، وبمشكلة التوحيد السياسى لوادى النيل . وقد وصلنا منه مرة تعليقات على بحث لها ، وجاءت فى أربع عشرة صفحة ، بلغة فرنسية لا تشوبها شائبة . (انظر آدناه) .

Chere Janine,

J'étais très très long . accepte , s' il te plait , mes excuses . Et aussi , une fois encore , mon pauvre français, si rude, pitoyable et même effroyable, sans mentionner les fautes innombrables .

صاحب شخصية مصر/جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

J' inclus deux lignes en arabe pour Hamid .

Mes souhaits les plus chaleureux et cordiaux á tout le monde , et mille merci pour toute chose.

Gamal,

الأخ العزيز الغالى الدكتور عبيدة

مع كل الشوق والمحبة ، ورغم الوحشة الطويلة ، فهل بقى لى أو لك شىء يقال ؟ لقد أطلت الرغى على المسكينة العزيزة الست چانين ، ولكن ذنبها على جنبها ، إذ ما عسى أن يحدث إذا اجتمع جغرافى وأركيولوجى ؟

نحن بخير ، والجميع يفكرون فيك وفى الانتظار ، فالى سبتمبر . راجين أن تكون والعائلة المقدسة فى أحسن صحة وحال . وبالمناسبة ، أين الجديد فى منشورات السنيور صالح الرومانى ؟ لعلك تتحفنا معك بآخر ما فى الجعبة !

لا تنس نفسك ، ولا تنسوا راحتكم وتمتعوا ببقيّة إجازة الصيف قبل

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

أن يدهمنا جميعا الجذرال شتاء ... حتى اللقاء ، لك كل أشواقى ، لولو

وفى إحدى زيارتى له ، أخبرته بأننى قد تركت التدريس الجامعى ، وأصبحت أعمل خبيراً للترجمة لدى المنظمات والهيئات الدولية . ولما أظهر تعجبه من ذلك ، بينت له الأسباب وشرحت له أن هذا العمل إلى جانب أنه عمل محبب إلى نفسى ، ويتيح لى عيشة مريحة فى أوروبا لتربية أولادى ، فإنه يسمح لى فى الوقت ذاته بالقيام بأبحاثى وكتابة مؤلفاتى ، وربما التدريس من أن لآخر بالجامعات كأستاذ زائر . ولما اقتنع بكلامى ، نطق بلغة فرنسية سلسلة المثل الفرنسى المعروف وترجمته : ليست هناك مهنة حمقاء ، ولكن هناك أناس حمقى ! وأضاف بالعربية : هل تعلم أن الدكتور لويس عوض عمل مترجماً بالأمم المتحدة فى نيويورك عندما أخرجوه من الجامعة ! المهم هو ألا تتخلى عن أبحاثك ومؤلفاتك !

وكان أخى جمال - رحمه الله - لا يدع مناسبة من المناسبات السارة إلا وشاركنى فيها بعباراته التشجيعية ومشاعره النبيلة . وقد تلقيت

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

منه فى يوم من الأيام خطابا رقيقا (انظر أدناه) ، وكذلك بمناسبة قيام الدكتور محمد عنانى بوضع مسرحيته ، جاسوس فى قصر السلطان ، التى عرضت على خشبة المسرح القومى فى القاهرة ، والتى استوحاها من كتاب ، التحفة الملوكية فى الدولة التركية ، لبيرس المنصورى ، الذى كنت قد حققته فى ١٩٨٧ .

٢٤ فبراير ١٩٩٢

الأخ العزيز الغالى الدكتور عبدة

ألف تحية وسلام ، وألف شكر على خطابك اللطيف الذى طمأننا عليكم . نحن نريد لكم الصحة والسعادة والتوفيق جميعا . الجميع يهدونك السلام ، ويتطلعون إلى لقاءك فى العيد كما ذكرت ، فأهلا .
بلغ سلامى وتحياتى الخاصة والخالصة - أرجوك - لست الستات جانين هانم ، وإن شاء الله تتم العملية بنجاح ، وتعود إلى كامل صحتها ولياقتها ، لتفيض علينا بنشاطاتها وكتاباتنا المتألقة .
كذلك أرجو للعزيز الأستاذ جلال (جلالو) التوفيق فى دراسته ، وينجح إن شاء . ومزيد التحية والتقدير للعزيز الشجاع الأستاذ كريم .

صاحب شخصية مصر/جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

أرفق مع هذا قصاصة من « جمهورية ، الأمس ، فيها خبر يسر
ويسرك عن كتابك المحقق « تحفة الملوك ، الخ .. مبروك ودائما
بالنجاح .

حتى اللقاء ، كل أشواقنا ومحبتنا ،

لولو

و آخر خطاب تلقيته منه كان فى أوائل هذا العام ، وكان
للسؤال عنا ، وهو الخطاب المنشور أدناه ، وقد جاء فيه :

العزیز الغالى الأستاذ عبیده

أظن لم يبق لنا شيء نقوله بعد هذه الملحمة أو المطولة للست
چانين هانم والأستاذ جلالو ! المهم أن تكون فى صحة والأحوال عال
والشغل كويس . وخذ بالك من نفسك وصحتك ، ولا تغرق فى العمل
أكثر من اللازم .

نرجو أن يحقق جلال خططه فى المستقبل . وكنا سمعنا أن سيادتكم
كنت ستشرف هذه الأيام أو هذا الشتاء ثم علمنا أنك على سفر خارج

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

فرنسا . عسانا نراك ولو في الصيف .

ترى ما أخبار مؤلفاتك القيمة الجديدة ؟

الجميع هنا يهدونك السلام ، وإن كانوا هم الذين على اتصال دائم
بك تليفونيا .

نسيت أن أشرك بشدة على كتابكم الرائع عن صور الفضاء - إنه
كنز حقيقى .

لعلنا نسمع منك أو تكتب لنا بين الحين والآخر يا دكتور عبدة .
حتى اللقاء كل اشواقى وحبى وسلامى وتحياتى ،

لولو

ملحوظة : اسم « عبدة » الذى يتصدر الخطاب ، هو الاسم الذى
كنت أعرف به بين أفراد الأسرة ، والذى أطلقه على فى صغرى أحد
مشايخ طنطا عندما كان فى زيارة لوالدى ، وذلك تيمنا باسم أبى عبدة
ابن الجراح ، أمين الأمة !

ويبدو لى أن ابتعاده عن الناس وعزوفه عن مقابلتهم ، قد أعطى

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

شعورا بأنه ينفر منهم ، كما أن تمسكه بالحق وتشبسه برأيه ، قد خلق انطبعا بأنه حاد الطبع ، صعب المراس . وقد ثبت لى ذلك عندما كنت أسجل مع الأستاذ الكبير أنيس منصور كلمة حول كتاب ابن ظفر الصقلى ، سلوان المطاع ، ، وذلك فى برنامج « شىء من الفكر » . ودخلت إلى الاستوديو فى الموعد المحدد ، وكان الأستاذ أمين بسيونى موجودا ، فقد كان هو المشرف فى ذلك الوقت على هذا البرنامج . وعندما بدأنا ، قال لى الأستاذ أنيس بطريقته المهدبة : اتفضل يا دكتورا ! ولما كنت فى ذلك الحين لم أكن قد حصلت على الدكتوراه بعد ، التفت إليه مصححا ، وقلت له : إنلى لست دكتورا ! فقال الأستاذ أنيس ، وربما قد شعر بدوع من الحدة فى ردى : ياسيدى تفاؤلا بما سيكون ! وأضاف : هل طبعكم كلكم بهذه الحدة فى العائلة ! أو عبارة مقاربة ، وكان يقصد جمال !

وعندما كنت فى باريس بعد حصولى على درجة الدكتوراه ، اعترضتنلى بعض المسائل فى أبحاثى كان الدكتور عبد الرحمن بدوى قد عرضها فى مؤلفاته ، ووددت أن أستوضحه إياها ، فاتصلت به تليفونيا بمقر إقامته الدائمة فى جناحه الخاص بفندق « لوتيسيا » ، ولما

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملامح من عبقرية الزمان

عرّفته بنفسى ، قال : هل أنت أخو الدكتور جمال حمدان ! فلما أجبته بالإيجاب ، قال : إياك أن تكون حاد الطبع وصعب المراس زيّه !
وتلك لعمري فكرة خاطئة تماما ، فقد كان جمال فعلا شديد الاعتداد بنفسه ويعلمه ، ولكنه كان فى الوقت نفسه يحمل بين جنباته قلبا أبيضاً ولسانا عفا وشفافية روحية كانت تزداد يوما بعد يوم ...
وظل أخى جمال ممسكا بقلمه حتى آخر لحظة فى حياته ، ولم يضعه إلا لدقائق معدودات ، ذهب فيها إلى مطبخه المتواضع ليعّد لنفسه قدحا من الشاي ... ولم يكن يعلم أن يد المنون كانت على موعد معه عندما انفجرت انبوية البوتاجاز فى وجهه ، وأمسكت الليران بتلابيبه ... وحاول وحده إطفاء هذه الليران التى تكاثرت عليه ...
فكانت الصدمة العصبية أشد من أن تحتمل ، واقتربت النهاية وحان الأجل ... فودّع الدنيا فى غفلة من الزمن ، ودفن يوم الأحد ١٧ أبريل ١٩٩٣ ، بمقبرة العائلة بالبساتين ، وهى المقبرة التى بناها والدى بعد عودته من السعودية فى سنة ١٩٦٦ ، ودفن بها سنة ١٩٨٢ عن نيف وتسعين سنة ، ولحقت به أمنا بعد ستة شهور . ويرقد جمال الآن بجوار والديه ، وبجوار من توفاه الله من أخوتى وأخواتى ...

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

استقبل المثقفون في مصر والعالم العربي كتابات جمال حمدان ، بكثير من الحفاوة والترحيب بعد أن يهرتهم هذه الكتابات بأفكارها وأسلوبها وشموعها ومنهجيتها . فأشادوا به وبهذه الكتابات ، وكتبوا عنه وعن مؤلفاته ما يتعذر حصره في هذه الصفحات القليلة . وفي مقال له في جريدة المصور المصرية الأسبوعية ، كتب الأستاذ رجاء النقاش في سنة ١٩٨٢ ، يقول : (إنه (جمال) المثل الأعلى للإنسان المصري العربي المثقف في هذا العصر ، . وكان هو أول من نادى بتكريمه وملحه أعلى وسام في الآداب والفنون . وديج الأستاذ يوسف القعيد - كان من المقربين إلى قلب جمال ومن المترددين عليه - عدة مقالات حلل فيها أفكاره وأعماله . وكان الدكتور أنور عبد الملك - وهو الأستاذ والعالم الكبير - لا يتكلم عنه أو يقتبس منه إلا ونعته بجمال حمدان العظيم !

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملامح من عبقرية الزمان

وودع هؤلاء المثقفون جمال بما يليق به ويستحقه . فقد سطرت أيديهم باقة رائعة من المقالات ، كتبوها بعد أن أحسوا بالخسارة الفادحة التي منيت بها مصر والتي فجرت فيهم هذه الينابيع من الحزن الملتهب ، فجاءت تعبيراً صادقاً عن حُبهم له وإكبارهم لعلمه وكفاحه وفكره . وإن دلت هذه المقالات والدراسات على شيء فإنما تدل على أن البذور التي غرسها جمال قد آتت أكلها . وظلت هذه الأقلام منذ وفاته وحتى يومنا هذا - وستظل لسنوات وعقود قادمة - تتناول كل أعماله وأفكاره وحياته . وفتحت الصحف اليومية صفحاتها لهذه الكتابات ، وخصصت المجلات الأسبوعية والدورية أعداداً كاملة عن « جمال حمدان » . كما بثت وسائل الإعلام المسموعة والمرئية العديد من برامجها لهذا الغرض . وعقدت حوله الندوات في المحافل الثقافية والجامعات .

وهيئات أن نلم بكل ما قيل أو كتب عنه ، فاقصرونا هنا على اقتباس نبذ مما نشر ، على أمل العودة إلى الكتابات القيمة الأخرى التي نشرت ، إذا ما أذن المولى ، وكان في العمر بقية .

فقد قال الكاتب والمحلل السياسى القدير ، الأستاذ السيد يسن فى

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

جريدة الأهرام الصادرة في ١٩/٤/١٩٩٣ ، وتحت عنوان : « جمال حمدان .. مؤرخا لشخصية مصر » ، « رحل المفكر المبدع الذي لا يقل تأثيره في ميدان العلوم الاجتماعية عن تأثير مؤرخ فرنسا الكبير « بروديل » ، مؤسس « مدرسة الحوليات » ، والذي أحدث أكبر ثورة في علم التاريخ ، تماما مثلما أحدث جمال حمدان أكبر ثورة في علم الجغرافيا ، لأنه حولها إلى علم اجتماعي موسوعي شامل ، واستطاع بذلك أن يعالج كل أمور مصر الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والاستراتيجية ، معتمدا على أسلوب أدبي فريد ، يجعل صاحبه من كبار أصحاب الأساليب الرفيعة في الأدب العربي المعاصر ، . وكتب الأستاذ أنيس منصور في هذا العدد ، وفي عموده اليومي « مواقف » ، يقول : « عاش غريبا ومات وحيدا .. يرحمه الله مات وحده .. مات كما تموت الشهب .. محترقا في السماء ، لا أحد رآه ، ولا أحد عرف كيف صرخ وكيف بكى ... وإنما سقط رمادا أضيف إلى تراب مصر ... يا أرض مصر قد مات فيلسوفك وشاعرك والشاهد على عبقرتك ... »

وكتب الأستاذ أحمد بهجت في صندوق الدنيا ، بجريدة الأهرام

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملامح من عبقرية الزمان

الصادر في ١٩٩٣/٤/٢٠ يقول : « كان د. جمال حمدان مثقفا موسوعيا ، وقد نجح في توظيف ثقافته الرفيعة في خدمة العلم ، كما كان له أسلوبه الأدبي المتميز .. »

أما الدكتور غالى شكرى - الناقد والعالم المصرى الكبير - فقد خصص حلقات ثلاث لجمال حمدان ، تحت عنوان : « مصرى من زماننا ، نشرها الأهرام فى أعدادة الصادرة فى ٢١ و ٢٨/٤/١٩٩٣ ، ٥/٥/١٩٩٣ ، وهى تعتبر درة من درر النقد العلمى نقتبس منها هذه اللبذة : « وسوف يكتب الكثيرون طويلا وعميقا عن شخصية مصر وجمال حمدان ، ولكن تحويل هذا الكنز من المعرفة الوطنية إلى جزء من الذاكرة الجماعية للشعب المصرى أمر مختلف . ولقد برهن الإعلام المرئى والمسموع ، وكذلك برامج التربية والتعليم على أن هذا ، الأمر المختلف ، بعيد المنال .. نتكلم ليلا ونهارا عن التنوير والوحدة الوطنية فتذكر أعلاما خفاقة فى سماء القرن الماضى أو بالكاد أوائل هذا القرن ، وننسى ما بين أيدينا فى حاضرتنا من كنوز ، فشخصية مصر لجمال حمدان ملحمة حيّة عبقرية الفعل والعطاء فى التنوير والوحدة الوطنية . ولكننا نخفى ثروتنا الوطنية تحت البلاطة حتى إذا ما جاء الزلزال

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

توارت تحت الأرض ... ثم أضاف : ، وهكذا لم يكن جمال حمدان عالما فى الجغرافيا أو مفكرا من أبرز مفكرىها فحسب ، وإنما كان مفكرا حضاريا صاحب وجهة نظر فى الحضارة الإنسانية عامة ، وفى تعدد الحضارات على اختلافها وتآلفها خاصة ، .

وكتب الأستاذ القدير سلامة أحمد سلامة فى عموده الصادر بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٣/٤/٢٢ يقول : : ... تجد قصة حياته (جمال حمدان) أزمة المتفوق والنبوغ والعبقرية حين تصطدم بما حولها من نكران وحجود ، فى مجتمع مثقل بمشكلات التخلف والمنافسات والحزازات الصغيرة ... وعلى الرغم من عزوف جمال حمدان عن الشهرة والذيعوم ومقاومته لكل محاولة لإخراجه من عزلته ، إلا أن كتاباته وكتبه فى تحليل ، شخصية مصر ، جغرافيا وسياسيا وبشرى .. وضعته رغما عن كل شىء على القمة مثالا يحتذى لأجيال الحاضر والمستقبل .. ونموذجا فريدا لا يتكرر للذين يعملون فى صمت وتبتل .. يموتون فى عشق مصر دون مقابل ودون انتظار حتى لكلمة ثناء أو شكر ، رحمه الله ، .

وتحت عنوان ، أسبوعيات ، التى صدرت فى عدد الجمعة من

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملاح من عبقرية الزمان

جريدة الأهرام قى ٢٣/٤/١٩٩٣ ، كتب الأستاذ الدكتور عمر الفاروق تحت عنوان : حمدان .. عبقرية الإنسان .. والمكان ، يقول : ، يطلو الحديث .. يشرق ويغرب .. ثم يستقر عند حمدان .. فيعلو ويحلو .. وتتفجر محبته من العقول ، فى كل ندوة .. فى كل رسالة .. فى كل كتاب .. يقرر حمدان .. يذكر حمدان .. يشير حمدان ، تزهو به الجغرافيا وتتنازع العلوم ، هل هو جغرافى أم فيلسوف ؟ أم موسيقار يعزف بالسطور ، لابل هو روائى يكتب دراما المكان ، الغائب الحاضر هو .. يتساءل عنه الجميع .. أين حمدان ؟ معتكف هو فى شقته من سنين لا يزال ولا يزال ، نحىلا .. خفيف شعر الرأس .. لامع العينين ، مترفعا فى تقشفه عن الدنيا والقشور .. زاهدا بمعاشه البسيط ، وحيدا يقرأ ويكتب ويعزف على العود حكمة أم حساسية ؟ ، . و ختم كلمته قائلا : وداعا يا حمدان .. وشكرا لما أنجزته نيابة عن عشرات العلماء .. وعذرا أن تركناك وحيدا .. ،

وفى كلمته ، شوارد ، التى كتبها الأستاذ الدكتور عبد العزيز شرف بإمضاء ، سندباد ، فى عدد الأهرام الصادر فى ٢٣/٤/١٩٩٣ ، قال : ، كان صوت جمال حمدان حين خرج من صمته بكتابه الأشهر

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

« شخصية مصر ، من أهم بواعث المقاومة في مواجهة أعتى تحديات العصر ، التي واجهها هذا الجيل الذي ظل يبحث عن وطنه مصر ، ويجد في كشف عن مقوماته وخصائصه وإمكاناته الطبيعية والبشرية .. وختم كلمته بأبيات الشعر التالية :

وليس موت امرئ شاعت فضائله كموت من لا له فضل وعرفان
والموت حق ولكن ليس كل فتى يبكي عليه إذا يعرره فقدان
في كل يوم ترى أهل الفضائل في نقصان عذر للجهال حجان
وكتب الأستاذ الجليل سامي خشبة في نفس هذا العدد من الأهرام
يقول : « هل سنذكره الآن ، وقد رحل - كالرهبان - فقيراً في عاصفة
من النار ، أم سوف ننساه ثانية ، دون أن نستغنى عنه لحظة واحدة ،
مثلاً ننسى وعينا ، ونحن نعيش به ؟ »

وكتبت الدكتورة نعمات أحمد فؤاد في الأهرام
١٩٩٣/٤/٢٤ ، تحت عنوان الدكتور جمال حمدان ، تقول : « ولأن
فقدته كان مفاجئاً وقاسياً ، أحسست في لحظة بأني فقدت من جديد صفا
من الشوامخ ينتظم العقاد ولطفى السيد و الخولى وعبد الوهاب عزام
وطه حسين وأحمد أمين ومصطفى مشرفة وتوفيق الحكيم والزيات

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان

وملامح من عبقرية الزمان

والمازنى وأم كلثوم . هؤلاء الذين عصرنى فقدهم أحادا ، اجتمعت على
كيانى بفقده ، جروحي فيهم ، ويكيت عليهم معه .. ويكيت عليه مثلهم
أحر بكاء ، بكت نفسى على نفسى بقدر ما أنتمى إلى كل عزيز على
مصر .. ويكيت عليك يا وطنى أن تفقد غواليك وأعلى القمم ...

أما الشاعر الكبير الأستاذ فؤاد جويده ، فقد كتب يقول فى جريدة
الأهرام ٢٥/٤/١٩٩٣ تحت عنوان : جمال حمدان : عاشق مصر
العظيم : ، ... جمال حمدان نموذج فريد من العطاء ... هذا الجهد
المثابر العنيد الضارى الذى استطاع به جمال حمدان أن يجز مثل هذا
العمل الضخم الذى يحتاج لعشرات العقول .. وعشرات السنين .. ولكن
جمال حمدان استطاع أن يقوم به بمفرده متحديا الواقع الكئيب والزمن
الردىء الذى تصور الأقزام فيه أنهم يمكن أن يطاولوا قامة الرجل
وشموخه ،، سوف نذكر فى الرجل زهد النفس .. وترفع الموقف ..
والصبر على البلاء .. وسوف نذكر مع هذا كله عطاء عالم فذ كبير ..
وسوف نسكب دموعا غزيرة على قبر جمال حمدان .. ولكن دموع
الدنيا لن تغفر أبدا خطيئة اسمها الجحود ...

وكتب السفير العالم عبد الرؤوف الريدى فى الأهرام ٢٦/٤/١٩٩٣ ،

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

تحت عنوان : جمال حمدان : الأنشودة التي لم تلتها ، يقول : إن جمال حمدان الذي كتب عن مصر وشخصيتها كما لم يكتب أحد من قبل ، وكانت حياته أنشودة عبقرية ، يمكن أن يكون موته أيضا مناسبة لكي يتواصل عزف هذه الأنشودة لتسمعها الأجيال المتعاقبة على أرض مصر التي أعطاهها حياته عقلا وقلبا

وكتب الأستاذ نبيل عبد الفتاح في أهرام ١٩٩٣/٤/٢٧ ، وتحت عنوان : وداعا جمال حمدان : عبقرية العشق وطوقس العشاق ، يقول : ... انفتحت في هذه اللحظة أسرار مصر المحروسة بأمر ربى ، ولب لبابها العميق بين يدي جمال حمدان ، فلا يكاد المرء يعرف أيهما العاشق أو المعشوق في وصال الأرواح والعقول والقلوب الساعية إلى الخلود .. لقد مثلت إسهامات جمال حمدان الفكرية والجغرافية أهم إنجازات مدرسية مصرية بازرة في الجغرافيا .. إن سبعة آلاف سنة من الإنجاز الحضارى ، والمحن القومية ، والأزمات الممتدة ، والمواهب المهدبة كلها تعلن الحداد لرحيل واحد من أبرز علامات إبداع أبناء هذه الأمة وتاريخها المديد .. وما هو ثرى مصر يأتلف راضيا مرضيا مع

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

جسد وروح عاشقها العظيم جزاء من أبديتها ، وعلامة على تضررها
العبقرى المبين ، .

وكتب الاستاذ صلاح الدين حافظ فى أهرام ١٩٩٣/٤/٢٨ ، يقول:
« ... وفى سبيل ذلك كله ، عانى جمال حمدان الوحدة والعزلة ويؤس
الحياة وفقرها ، بينما الجميع من حوله منتفخ الأوداج بالغرور والصلف
والثراء الكاذب والفكر المناور والثقافة الزائفة والسلوك المخادع
المخاتل... ولم يكن غريبا إذن أن يشعر الرجل بالاضطهاد والمعاناة
العامة والخاصة وصولا للاكتئاب العام ، فيموت فى برودة جامدة ،
دون أن تهتز لرحيله مصر التى مجدّ عبقريتها الحقيقية ، بقدر ما كشف
عورتها التى لطخها بها بعض أبنائها » من العلماء العملاء ، وزواحف
الانتهازيين والمأجوريين ، الذين أشاعوا الجهل والسطحية والتخلف ،
فإذا بنا جميعا ، أسرى الإرهاب والترويع الفكرى والجسدى ، فى
عصر يتغير دون أن ندرك حقيقة ما يجرى ! فمتى نقرأ ونعى ونفهم
حقيقة ما يجرى حقا ؟! » .

وفى جريدة الأهرام الصادرة فى ١٩٩٣/٤/٢٩ ، كتب الأستاذ
الدكتور محمد صابر عرب فى مقال له بعنوان : جمال حمدان : المأساة

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

والعبقرية ، يقول : « وإذا كانت الظروف المأساوية التي أحاطت بوفاة راحلنا العظيم قد ضاعفت من حزننا إلا أن ذلك لا يقلل من حجم الكارثة الإنسانية والحضارية التي ارتكبت في حق هذا المتوحد المتشامخ جمال حمدان الذي اعتزل الحياة إلا أنه لم ينعزل عنها بل تفاعل معها وراح يرصد واقعنا الثقافي والحضارى بحس وطنى وبرؤية تنم عن خلفية ثقافية رفيعة المستوى ، .

أما تلميذه الدكتور عبادة كحيلة ، فقد كتب فى جريد الأهرام الصادرة فى ٣/٥/١٩٩٣ ، وتحت عنوان : جمال حمدان ... وذكريات مع الإنسان .. والعالم .. وعلم الجغرافيا ، يقول : « ذكرتني جلساتي مع هذا العبقرى بجلسات أخرى مع عبقرى آخر .. العقاد .. وكان يسيرا عليه أن يبحث عن نفسه خارج الجامعة ، بل خارج الوطن ، وسنحت الفرصة غير مرة ، بل صارت تلهث وراءه فى زمان صار الكثرة يلهثون وراء النفط ، لكنه كان نسيج وحده أثر أن ينصرف عن دنيانا هذه الرديئة إلى دنياء التى أحب ، ورغما عن موارد مادية محدودة ، ومتاعب صحية كان يعانى منها ، إلا أنه أدار ظهره لكل شيء .. كنت أعلم حقيقة المحنة التى مرّ بها ، وهى محنة صلتها نفوس صغيرة

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملامح من عبقرية الزمان

زاملته فى الجامعة ، ولكنه دائما يتحاشى الحديث عنها ... يبقى من حمدان نموذج رائع لعالم احترم نفسه واحترم علمه ، وجعل هذا العلم قيمة لا تعلوها قيمة ، لا يهمله بعدها أى شىء ولا يهمله كل شىء ... كان الهام العام يكمن وراء كتب حمدان ...

وكتب صديقى وزميلى العزيز الدكتور عبد العزيز الشربينى - وهو أيضا صديق وزميل جمال فى المدرسة التوفيقية ، كتب يقول فى جريدة الأهرام فى ١٩٩٣/٥/٥ ، وتحت عنوان : جمال حمدان فى صباه : «... ورغم تفوقنا نحن الأربعة (رفعت المحجوب - صبحى عبد الحكيم - عبد العزيز الشربينى - جمال حمدان) فى الدراسة ، واتجاهنا إلى كليات مختلفة للدراسة بجامعة القاهرة ، فقد اتضحت منذ تلك اللحظة البعيدة الزمن مؤشرات تبرز بوضوح وجلاء عبقرية جمال حمدان ، مع أنها كانت لا تزال فى مهدها ، ومن أبرز هذه المؤشرات تفوقه الملحوظ فى رسم الخرائط الجغرافية والتفنن فى إظهار التباين فى التضاريس ، والمعالم الطبيعية ، وأضف إلى ذلك تجويده للخط العربى ، وإخراجه فى ثوب جميل للنظر ، وهذا كله مع أسلوب رائع عذب فى كتابة ينساب كأنغام الموسيقى الحاملة ... » .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

وكتب الأستاذ الفاضل أحمد صدقي الدجاني تحت عنوان : جمال حمدان ورواه المستقبلية ، وذلك في جريدة الأهرام الصادرة في ١٩٩٣/٥/٩ ، فقال : « تتميز كتب جمال حمدان بمزايا كثيرة تجعلها تحتل مكانا خاصا في مكتبتنا العربية ، وتلصم إلى ذخائر تراثنا العربى. ومن أبرز هذه المزايا وفي مقدمتها ما تضمنته هذه الكتب من رؤى صاحبها المستقبلية . فجمال حمدان في هذا القرن من تاريخ أمتنا عبر القرون ، هو واحد من نفر معدودين على صعيد عالمنا يذكروننا بنظر زرقاء اليمامة ، الثاقب الذى أشار إليه المقرئ صاحب « نفع الطيب ، ... ثم قال بعد أن عدد هذه الرؤى : « ان الحاجة ماسة لتعريف عامة قومنا وكثير من خاصتهم برؤى جمال حمدان المستقبلية لأنها تبعث على التأمل وتحث على التفكير وتشحذ الهمم ... وكم تشد الحاجة إلى تعريف أهل الحل والعقد ممن لم يطلعوا عليها بها ، لأنها ترسى العمل السياسى على أساس متين من النظر الاستراتيجى ، سواء اتفقت معها أم اختلفت » .

ومن مدينة تبوك حيث يعمل الدكتور ابراهيم عبد الفتاح يونس ، كتب فى مقال له نُشر فى جريدة الأهرام الصادرة فى ١٩٩٣/٥/١٠

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملاح من عبقرية الزمان

يقول تحت عنوان : جمال حمدان .. العاشق الغريب : « شخصية تعلمت وعلمت .. تركت بصماتها واضحة على واقعنا الثقافي بصورة تبهر العقول .. وتصنع مثلاً أعلى من الصعب أن يتكرر .. » درست على يديه في كلية الآداب ... واقتربت منه وتجاوزنا كثيراً ... وفي صمت وسكون يموت جمال حمدان وهو ملء البصر والسمع لكنه غريب منعزل لا يكلم أحداً .. ولا يلتقي بأحد ، ولا يسمع لأحد إلا القلم .. والكتاب .. والعود .. وأمامه معشوقته مصر .. ينزل فيها ويكشف أسرارها ويقدم لنا ما لم نعرف عنها ... وداعاً أيها العاشق الغريب .. وجزاك الله خيراً على ما قدمت لمصر ولأبناء مصر .. ولن تنساك الثقافة المصرية العربية .. كلما قرأنا لك واقتدينا بك .

وكتب زميلي العزيز الدكتور طلعت أحمد إبراهيم في جريدة الأهرام الصادرة في ١٣/٥/١٩٩٣ ، وتحت عنوان : لتخليد ذكرى العالم العبقرى : جمال حمدان ، يقول : في خريف عام ١٩٥٣ كان لقاء د . جمال حمدان بطلبته لأول مرة ، ونلتذكر أنه كان يدخل قاعة المحاضرات رشيقاً أنيقاً ، يضم إلى صدره الكتب والمراجع ، تعلق وجهه ابتسامة مشرقة ، نظراته محلقة فاحصة ... وتعددت محاضراته طوال

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

أعوام الدراسة ... وانبهر الجميع بشخصيته المتميزة ، وبعلمه الغزير ،
ويروح الأستاذ الجامعي الحق

وفى خطابه الأخير إلى جمال حمدان ، كتب الدكتور محسن
عبد الخالق في جريدة الأهرام الصادرة في ١٧/٥/١٩٩٣ ، يقول :
« ... مصر الوطن يعزوها رعدة كلما تصورت ما صنعتها نارها بك ..
لقد مات كل شيء .. ومات فيها شيء ؟ مصر هي الباكية فقط ودموع
الأشخاص تجف ، لكن دموع الأوطان أبدا لا تكف ! مصر تفقدك
بشدة ، فقد خستك بما في خبيثة صدرها ، وما تسره أرضها ! فقد
اعتادت أن تفك كل القيود أمام عبقريتك عندما تدلهم بها الأحوال ،
وينتابها لحظات من اليأس والقلوط ! ... وبعد ، ما الذي أصابك
يا وطني ؟ ! رموزك تهوى ، وكنوزك تفنى ، نزيه مستمر ، ونحن
نللم جراحك يا وطني ، ! .

وتحدث الأستاذ كامل زهيري ، وكانت تربطه بجمال أواصر
الصداقة والود والتقدير المتبادل ، في عموده (من ثقب الباب) المنشور
في جريدة الجمهورية الصادرة في ١٧/٥/١٩٩٣ ، عن إعادة طبع

صاحب شخصية مصر/جمال حمدان وملامح من عبقرية الزمان

شخصية مصر فى سلسلة كتاب الهلال وكيف كان هو الكتاب ، النواة ، لملمة شخصية مصر التى صدرت تباعا فى أربعة أجزاء قاربت ٣٥٠٠ صفحة . كما تحدث فى الندوة التى عقدت فى دار الأوبرا عن مصر فى عيون جمال حمدان ، واسترجع ذكرى لقائه به واكتشافه له فى عام ١٩٦٤ وقال : لم أكن أيامها قد اكتشفت أن جمال حمدان من العائلات البصرية أو تلك السلالة النادرة التى تخلصت من أمية العين والتى تعشق الرسم والفنون التشكيلية . فقد كانت قدرة حمدان الفذة هى أنه يستطيع نقل المجردات إلى محسوسات بصرية . ثم قال : وحمدان لم يضيف ولكنه بنى وجدد وطرح منهجا عربيا لدراسة الجغرافيا . أما الدكتور على بركات فقد كتب فى أهرام الجمعة الصادر فى ١٩٩٣/٥/٢١ ، تحت عنوان ، شخصية مصر عند جمال حمدان ، ، دراسة عن الجزء الثانى من شخصية مصر . الذى جدد فيه جمال حمدان ، ومن خلال قراءة متأنية لتاريخ مصر عبر العصور ، وعلى ضوء حقائق المكان (الموقع والموضع) الضوابط الرئيسية التى حكمت حركة التاريخ المصرى ، محاولا الوصول إلى القوانين العامة فى حركة التاريخ هذه فيما يصل إلى الحتمية الجغرافية ، مستعرضا

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملاح من عبقرية الزمان

لأكثر الإشكاليات تعقيدا فى تاريخ مصر ، ومن بينها إشكاليتان
رئيسيتان :

الأولى : علاقة الاستبداد - تاريخيا - بنظام الحكم فى مصر ،
وانعكاسات ذلك على الشخصية الوطنية المصرية .

والأخرى : علاقة العامل الخارجى بحركة التاريخ المصرى .

وركز الأستاذ سامح كريمة فى عموده الثقافى بعدد الجمعة من
جريدة الأهرام وعلى أربع حلقات ابتداء من ١٩٩٣/٥/٢١ ، على
اهتماماته بعبقرية المكان وعلى استعداداته الفطرى وميله الشخصى
للجغرافيا الذى جعله يقول ذات يوم بأنه مخلوق جغرافى ، أو أنه خلق
هكذا جغرافيا رغم أنفه . وأن هذا كان ترجمة حقيقية لميوله الفنية . ثم
تكلم عن دراسته للقاهرة التى جاءت كمقدمة لكاتب ديزموند شتياوث
الذى ترجمه الكاتب الراحل يحيى حقى . ثم تحدث عن شخصية مصر
وعبقرية المكان ، فقال : ولو أن الدكتور حمدان لم يترك غير هذا
الكتاب لاكتفى به عملا صالحا يشرفه ، ولاعتبرته مصر سجلا حافلا
يروى عظمتها . وخلص من ذلك إلى أن عزلته كانت منتجة .

وكتب الأستاذ الدكتور إبراهيم العيسوى فى جريدة الأهرام الصادرة

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملامح من عبقرية الزمان

فى ٢٣/٥/١٩٩٣ تحت عنوان دروس من سيرة صاحب شخصية مصر ، يقول : هل كان من المحتم أن يموت جمال حمدان تلك الميتة المأساوية حتى نفيق ونلتفت إلى ما فى بلادنا من درر منزوية . إن فى حياة وممات جمال حمدان عبرا كثيرة ودروسا شتى يمكن الاستفادة منها فى إنها فى مصر وبداء مستقبل أكثر إشراقا لها . وقال : إن أهم هذه العبر والدروس هى : ١- درس الانتماء ، ٢- درس القدوة ، ٣- درس الإبداع ، ٤- درس المؤسسات .

وكتب الأستاذ محمد العزى صادقا تحت عنوان كيف تصبح وزيرا فى جريدة الجمهورية الصادرة ٢٥/٥/١٩٩٣ : وبمناسبة جمال حمدان ، ما أكثر الذين كتبوا عنه بعد موته ، وكلهم قالوا بأنه كان صديقا ، وكان يفتح لطرفاتهم المعينة بابه ، وكان يخصصهم بأفكاره ، وتلك على أية حال ظاهرة عالمية ، فهناك متخصصون فى كتابة المذكرات والذكريات والاستشهاد بأقوال الذين فارقوا الحياة وأضاف : أين كان كل هؤلاء والعالم الجليل يعانى من ظلم المجتمع وفساده حتى عندما زالت الظروف التى كانت تمنع الخوض فى أسباب غضب جمال حمدان ، ، خوفا من الحكام ، ... وإنما تركناه وحده يدافع عن

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

كرامتنا بطريقته الخاصة ، رحمه الله ...

وكتب دكتور شعبان عبد العزيز عفيفي في بريد الأهرام بتاريخ ١٩٩٣/٦/١٦ : ما أكثر المقالات والأبحاث والدراسات التي كتبت عن المرحوم الدكتور جمال حمدان ، والتي أشادت جميعها بغزارة علمه وبالفقمة الأكاديمية والفكرية الممتازة لكتبه ومؤلفاته ، كما أبرزت تواضعه واعتزاله الحياة الاجتماعية وإبتعاده عن الناس لكي يتفرغ للبحث والدراسة . وإنى أتساءل ... لماذا لم يهتم كاتب واحد - أثناء حياة الدكتور جمال حمدان - بمعرفة السبب أو الأسباب التي دعت به إلى الاستقالة من الجامعة وإلى اعتزال المجتمع والبعد عن دنيا الناس ؟ ... أذكر أنني عندما كنت طالبا بقسم اللغة الانجليزية بكلية الآداب جامعة القاهرة في منتصف وأواخر الخمسينات ، كنت « أزوغ » من بعض محاضرات القسم لكي أحضر محاضرات الدكتور حمدان بقسم الجغرافيا ، وكان بعد لا يزال شابا عائدا حديثا بالدكتوراه من بريطانيا ، وكنت أجد في محاضراته - رغم أنها ليست تخصصي - متعة كبيرة وفائدة عظيمة لأنه كان بعلمه الغزير وثقافته يحلق بنا في آفاق المعرفة الواسعة ثم يهبط بنا في مطار الجغرافيا ...

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

رحمه الله رحمة واسعة ... وعوضنا عنه خيرا ...
فمصر فعلا ، ولأدة ، ...

وكتب الأستاذ مأمون غريب فى مجلة آخر ساعة الصادرة فى
١٩٩٣/٤/٢١ تحت عنوان : عاشق شخصية مصر : رجل وحيدا ،
يقول : ... أذكر أن علامات الاستفهام الحائرة والمحيرة تلك قد
ارتسمت فى ذهنى كلما قرأت كتابا أو بحثا أو مقالا له ... ومن خلال
ما قرأته عنه وله ... أنه كان يستيقظ فى الفجر ، ويبدأ فى الكتابة حتى
الساعة الحادية عشرة ثم يعاود الكتابة مرة أخرى من الساعة الثالثة
حتى السابعة . وكان يرى أن القراءة سهلة ويسيرة ، والتفكير أسهل من
القراءة ، ولكن المشكلة الحقيقية هى الكتابة .. فقد كان يرى فيها معاناة
شديدة . وكان يتحدث عن حبه للجغرافيا بقوله : هذه مهنتى وهوايتى
التقى فيها استعدادى الطبيعى مع ميلى الشخصى ، وأنا أعتقد أن تركيبة
عقليتى جغرافية بحتة ، فأنا مخلوق جغرافى .. أو حيوان جغرافى ..
فقد خلقت جغرافيا رغم أنفى .. وأنا أعتقد أن استعدادى الطبيعى
للجغرافيا هو الترجمة العلمية لاستعداداتى وميولى الفنية ، فأنا أقتررب
بالجغرافيا من الفن .. وأنا تستهوينى الطبيعة وجمالها ... رحم الله

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

العالم الكبير الذى ملأ الدنيا حياة ، وترك من خلفه ما هو جدير بالخلودا .

وتحدث الكاتب الكبير الأستاذ عبد العال الحامصى فى مجلة أكتوبر الصادرة فى ١٩٩٣/٤/٢٥ ، وتحت عنوان : جمال حمدان : ناسك الفكر .. رافض الصخب !! ، يقول : « إن هذا المفكر يقف فى تاريخنا شاهدا حيا على أصالة العبقرية المصرية التى أعطت جماع وجودها وذوب عمرها للعلم الخالص المجرد من المطامع .. لقد تنسك هذا الرجل الغذ فى صومعته .. معتزلا الصخب .. رافضا التقاتل حول منصب أو التكالب حول وجاهة .. مترفعا على الدنايا والأغراض .. والأعراض ... إن تاريخنا المعاصر لم يعرف راهبا فكريا مثل الدكتور جمال حمدان الذى تأبى على صراع التفاهات والمناصب وأضواء الوجاهة وهالات الشهرة لينفرغ لعلمه وكتبه التى تقف من علامات الثقافة المصرية المتفوقة والمتوهجة فى النصف الأخير من هذا القرن .. بدون أن يسعى إلى موقع يعادل قامته .. وحتى الجوائز التى نالها مصريةا وعربيا جاءت صاغرة تطرق بابيه .. وتشرف به أكثر مما تشرف بها .. لأن أو سمته كانت عبقرية كتبه وحدها !! » .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملامح من عبقرية الزمان

وأصدرت مجلة القاهرة المصرية عددا به ملف خاص عن جمال حمدان فى الثقافة المصرية ، لنخبة من كبار الأستاذة ، منهم الدكتورة لطيفة الزيات التى قالت : « كان عبقرىا ... بمعنى قدرة الإنسان على أن يمتح نفسه كلية وبلا تحفظات للعمل الذى يجيده ويبدعه ... وألا يعانى من رغبات الدنيا سوى الرغبة فى استكمال هذا العمل على الوجه الأكمل والأمثل ... ، وفى نفس الملف كتب الدكتور شكرى عياد يقول : « كنا نعمل معا فى كلية الآداب بجامعة القاهرة ، كان هو فى قسم الجغرافيا وكنت فى قسم اللغة العربية ... وكان كلانا يعرف الآخر بالاسم .. وكان أول ما استرعى نظرى فى شخصيته شدة الانضباط فى هندامه وكلامه ... ، أما الدكتور حسن حنفى فقد كتب فى نفس الملف يقول : « ... أعطتنى شخصية مصر الأساس الجغرافى للتاريخ والسياسة والاجتماع ، وحولتنى من مثالية السماء إلى واقعية الأرض .. من الثقافة إلى التاريخ ، ومن العقائد إلى الجغرافيا ... ، وقال الدكتور بهيج إسماعيل : عاش جمال حمدان كل سنوات عمره ... كأنها يوم واحد طويل ... ولكنه كان يحيا داخل عقله العبقرى فى اليوم الواحد كل سنوات التاريخ ... وهكذا لم يعد جمال حمدان يحس فى الليل ببرودة

صاحب شخصية مصر/جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

المكان أو أن الجدران من حوله صفراء رطبة .. بل لم يحس حين
أمسكت به الليران أن جسده كان ذا قيمة كبيرة داخل الرحلة الطويلة
المقدسة ، .

ونظم مركز البحوث والدراسات بجامعة القاهرة ندوة علمية تحت
عنوان : « جمال حمدان : التفاعل بين عبقرية الإنسان والمكان » قال
الدكتور أحمد الغندور في افتتاحها :

إن هذه الندوة هي كلمة عرفان للعالم الراحل الذى شكل رحيله
خسارة علمية ، فقد كان قلما أصيلا ومنتميا ، وأضاف الدكتور
على الدين هلال مدير المركز أن الندوة ليست مناسبة للتأبين لأن
المفكر لا يموت وقال محمود أمين العالم إن القيمة الكبيرة التى يمثلها
جمال حمدان تتمثل فى أنه كان صاحب مشروع حضارى شامل يعتبر
امتدادا لمشروع عصر النهضة وهو يلتقى مع المفكر العربى ابن خلدون
من زوايا تقديم الرؤية الشاملة ، فقد قدم حمدان فى شخصية مصر
رؤية عمرانية استراتيجية شاملة تبدأ من الواقع الجغرافى الطبيعى لتمس
كل القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية وكان حمدان حريصا

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

على تحديد المنهج وإبراز طابع الجغرافيا كعلم هدفه الوصول من دقائق التفاصيل الى القوانين الحاكمة باعتبار أن النظرة الشاملة هي المدخل الملهجى لاكتشاف الحقيقة وجمع بين النظرة التحليلية الحقيقة وجمع بين النظرة التحليلية التليسكوبية والنظرة الشاملة الميكروسكوبية وكانت رؤيته تتجسد فى أن الجغرافيا هي التاريخ الثابت والتاريخ هو الجغرافيا المتحركة وقال الدكتور صبحى عبد الحكيم : إن حمدان استطاع لن يطل من نافذة الجغرافيا على فروع كثيرة من المعرفة وخاطب جمهورا عريضا لم يقتصر على أهل الاختصاص وكان هناك إجماع بين الحضور ممن عايشوا جمال حمدان على أنه كان معتزا بنفسه لأبعد حد وكان فى غاية الحساسية وقال الدكتور أحمد على اسماعيل رئيس قسم الجغرافيا : إن اعتزال حمدان لم يكن عزلة لأنه ظل يفعل بما يجرى حوله ، وكان اعتزاله إقحاماً وليس انسحاباً حيث اتسعت دائرة جمهوره لتشمل عامة المثقفين وبلغ انتاجه ٢٢ كتاباً و٢٦ مقالا .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

وقالوا عنه ...

- رحيل جمال حمدان خسارة كبرى لمصر على جميع المستويات
الجغرافية والتاريخية والثقافية . ورغم معرفتي المتواضعة به إلا أنني
أحترمه كعقلية قلما يوجد بها الزمان .
رحمه الله وعوض مصر عنه خيرا .

(دكتور شوقي ضيف)

- كان جمال حمدان مثالا للعالم الأديب المؤرخ المدقق الذى
كرس حياته لكتابة أروع الكتب التى تمجد مصر ، وخاصة فى مؤلفه
الفريد « شخصية مصر » ،

(الأستاذ نجيب المستكاوى)

- إن وفاة جمال حمدان خسارة فادحة للبحث العلمى الجاد ولأنه

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملاح من عبقرية الزمان

كان نموذجا فريدا للتجرد العلمى وكان راهب فكر .

(الأستاذ عبد الوهاب مطاوع)

- كان رفضه للمجتمع رفضا إيجابيا بمعنى أنه مستمر فى العطاء والكتابة ، ولم يهزم حتى آخر لحظة فى حياته . قدرته على الاستمرار كانت جزءا من شخصية مصر نفسها وأخيرا لم أتصور أبدا أن يموت بهذه الطريقة المأساوية .

(الأستاذ يوسف القعيد)

- سقط هرم من أهرامات مصر ورحل عنا فارس من فرساننا إنه العالم الزاهد الأستاذ الدكتور جمال حمدان ، رحل عنا فى صمت تاركا أبلغ الأثر فى نفوسنا . وكان رحمه الله يضرب المثل الفريد بالفعل والواقع العلمى لجيل الشباب ويوصل إليهم رسالة الاهتمام بالبحث العلمى والجديّة فى طلب المعرفة .

(دكتور يسرى عبد المحسن)

- وهكذا رحل جمال حمدان تاركا تراثا مجيدا فى شخصية مصر ونموذجا فريدا فى الوفاء والحب لأرض مصر .

(دكتور مينا بديع عبد الملك)

- كان واسع الصدر للمناقشة والأسئلة كما كان طاهر القلب نقى

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

اللسان . حزنت والله على فقدته حزنا عميقا لأنى كنت أرسله بعد
التخرج .

(عبد المحسن مرزوق - من تلاميذه)

- هكذا كان الدكتور العظيم جمال حمدان .. اختار أن يكون فقيرا
مصريا فى حياته ، كما عاش غاندى الفقير الهندى .. هو من عائلة
كبيرة ، وله أموال كثيرة ومركز علمى جامعى .. ترك كل هذا من أجل
أن يكتب للأجيال شخصية مصر ..

(سمير صبحى)

- لقد رفض الدكتور جمال حمدان المناصب والجوائز والجاه
والمال ، ورفض الزوج والولد كى يتفرغ للعلم ... فسلام عليه فى
الخالدين .

(لواء أحمد العرنوسى)

تشهد مصر ٣٠ مولودا كل ثانية ، وأكثر من نصفهم تقريبا
يذهب للقاء ربه ، ولكن رحلة الموت والحياة تستمر فى إيقاعها العادى
دون أن يشعر بها إلا عدد قليل من الناس ، أما العباقرة فهم الذين
يستطيعون تثبيت التاريخ ، ويوم وفاة جمال حمدان لن يكون مجرد يوم

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملامح من عبقرية الزمان

عادى . إنه علامة فى التاريخ الفكرى والعلمى لمصر ، ولا يستطيع أحد أن يزعم إذا كانت شجرة جمال حمدان العلمية سوف تثمر فى القريب العاجل أم أننا ننتظر جيلا أكثر حكمة وأكثر احتراما للعلم ، لقد عرفت هذا المؤرخ العبقرى عن قرب ونشرت له أولى كتاباته فى مجلات الهلال ، ومنذ قرأت مقاله الأول أدركت أنه ليس أستاذًا جامعيًا أو مثقفًا عاديًا ولكنه موسوعة عبقرية شاملة .

(كامل زهيرى)

- جمال حمدان شخصية مصرية عالمية بكل المعانى ليس مجرد للجغرافيا وإنما كان مفكرًا فذاً فى تاريخ مصر الحديث ، فهو وحده الذى استطاع أن يقيم لنفسه ميزانًا ليس لأحد غيره هذا الميزان . إن العلم وحده الذى يستطيع أن ينقذ الأمم ويرقى بها فى مدارج النهضة ، وسوف تظل موسوعته « شخصية مصر » شاهداً لا يبارى فى أن مصر التى أنجبته تستطيع برغم الحزن العميق أن تنجب فى تلاميذه شموعا جديدة للنهضة المواتجة . حزننى الشخصى بلا حدود لأنى أعلم أن د/ حمدان كان منكبا فى هذه الفترة بالذات على كتاب « جغرافية الإسلام » وهو كتاب بالغ الأهمية وهو موسوعة جديدة تضاف إلى

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

أعماله .

(الدكتور غالى شكرى)

- اكتشافاته العلمية ليست محل خلاف مع أحد ولكن ما يلفت الأنظار حوله أن هذا العالم الذى أرسى شخصية مصر وعبقرية مكانتها يعيش وحيدا منعزلا ويموت وحيدا محترقا . لماذا نجد هذا الإنجاز العلمى الضخم بيننا بينما يكون صاحبه خارج الحياة العامة ربما لأن قدر العالم أن يقف موقف المعارض للسائد ضد الحياة العامة والتى تضيق عليه الخناق . ومأساة الدكتور جمال حمدان تدعونا للنظر لتأمل الحياة العلمية والاهتمام بالعلماء وإنجازتهم العلمية فيجب أن يفكر الجميع فى إتاحة المناخ للفكر الحر المبدع وإزالة كل العقبات التى تتعرض لها العقلية الفذة وعدم التمسك بشكليات تحاول ، ولا تقف موقفا سليبا من الاستهلاك الفكرى ولا بد من الحفاظ على الخصائص الحية للهوية فى وطننا العربى .

(إبراهيم فتحى)

- سيبقى جمال حمدان نموذجا للأكاديمى الجاد بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى . فقد أثبت أن الابتعاد عن المشاكل ليس هروبا بقدر ما هو سمو وأن عزلة المجتمع قد تكون أحيانا أقوى من الاندماج

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان وملامح من عبقرية الزمان

فيه . لقد عرفته من خلال كتاباته الجادة التي تثبت أنه عاشق كبير لمصر وللمعرفة والحضارة في نفس الوقت .. رحمه الله .

(عاطف العراقي)

- إذا كان جمال حمدان في نظر الجميع عبقرية علمية فإنه بالإضافة إلى ذلك من وجهة نظري نموذج للعبقرية الإنسانية والنفسية . وأنا كطبيب نفساني أرى في ما فعله جمال حمدان من حيث قدرته على الاعتزال والتفرغ التام للبحث العلمي والابتعاد عن كل مغريات الحياة أرى في ذلك نوعاً من الإعجاز النفسي وقوة الشخصية والإرادة وتحدي الاكتئاب . وأتصور أن أي إنسان في موقعه لم يكن أمامه إلا العودة المرضية إلى المجتمع أو الانتحار ولكن عبقرية جمال حمدان وإرادته معا قد حفظته وحفظت صحته النفسية وهذا ما يستحق التأمل والدراسة .

(الدكتور يحيى الرخاوى)

- الزمن الذي نعيشه يثبت لنا كل يوم أن الإحباط هو سيد الموقف والذين يعيشون في هذا الزمن ليس أمامهم إلا الصبر واحتمال الفجعة تلو الفجعة ، والصفحة تلو الصفحة فالشللية والانتهازية والوصولية في

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

كل مكان حتى داخل أسوار الجامعة ، وسيبقى نموذج جمال حمدان
ليفضح الأرقام وقصار القامة الذين حاولوا الصعود على حساب مستقبله
الجامعي ولكنه سيعيش حتى بعد رحيله ، فالعباقرة لا يموتون .
(د. أحمد عبد الرحيم مصطفى)

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

الملاحق

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

الملحق الأول

قائمة بمؤلفاته العربية التى نشرت

باللغة العربية

- دراسات فى العالم العربى ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- أنماط من البيئات ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- دراسة فى جغرافيا المدن ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- المدينة العربية ، القاهرة ١٩٦٤ .
- بتروى العرب ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
- الاستعمار والتحرير فى العالم العربى ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
- اليهود انثروبولوجيا ، كتاب الهلال ، ١٩٦٧ .
- شخصية مصر ، كتاب الهلال ، ١٩٦٧ .
- استراتيجية الاستعمار والتحرير ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- مقدمة كتاب « القاهرة » ، لديموند ستىوارت ، ترجمة يحيى حقى ، ١٩٦٩ .
- العالم الإسلامى المعاصر ، القاهرة ١٩٧١ .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

- بين أوروبا وآسيا ، دراسة فى النظائر الجغرافية ،
القاهرة ، ١٩٧٢ .
- الجمهورية العربية الليبية ، دراسة فى الجغرافيا السياسية ،
القاهرة ، ١٩٧٣ .
- ٦ أكتوبر فى الاستراتيجية العالمية ، القاهرة ، ١٩٧٤ .
- قناة السويس ، القاهرة ١٩٧٥ .
- أفريقيا الجديدة ، القاهرة ، ١٩٧٥ .
- موسوعة شخصية مصر - دراسة فى عبقرية المكان ، ٤ أجزاء ،
القاهرة ، ١٩٧٥ - ١٩٨٤ .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

الملحق الثانى

قائمة بمؤلفاته وبحوثه

المنشورة باللغة الانجليزية

- Population of the Nile Mid - Delta, past and present,
Reading University, June 1953, 2 vol ..
- Khartum : study of a city, Geog . Review, 1956 .
- Studies in Egyptian Urbanism, Cairo, 1960 .
- Evolution of irrigation agriculture in Egypt, in :
A history of land use in arid regions, ed. L. Dubley
Stamp, Unesco, Paris, 1961 .
- Egypt, the land and the people, in : Guide book to geology, 1962 .
- Pattern of medieval urbanism in arab world, Geog . Review, April 1962 .
- Political map of the new Africa, Geog . Review, oct .
1963.
- The four dimensions of the Egypt, (underprint) .

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملاح من عبقرية الزمان

الملحق الثالث

المقالات المنشورة باللغة العربية

فى المجلات والجرائد

فى مجلة (الهلال)

١ - فلسطين والوحدة - سنة ١٩٦٤ (١٠ صفحات)

٢ - نحو حل علمى لمشكلة قبرص - اكتوبر سنة ١٩٦٤
(١٠ صفحات)

٣ - ماذا تعد إسرائيل عسكريا - نوفمبر سنة ١٩٦٤ (٨ صفحات)

٤ - أصول تاريخية وجغرافية فى مصر - البيروقراطية والجغرافيا -
فبراير سنة ١٩٦٥ - (١٢ صفحة)

٥ - هل تملك إسرائيل سلاحا ذريا - مايو سنة ١٩٦٥ (١٢ صفحة)

٦ - إسرائيل الصهيونية وأرض فلسطين - عدد فلسطين (٥) السنة ٧٦
مايو سنة ١٩٦٨ (٢٠ صفحة)

٧ - مقتطفات من مقالة (هل تملك إسرائيل أسلحة ذرية) -

عدد الهلال الماسى (٧٥) . مع صورة للدكتور / جمال

حمدان (صفحة واحدة)

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

فى مجلة (الكاتب) :

- ١ - الوحدة العربية بين مقوماتها ومعوقاتا - العدد (٥٩) فبراير سنة ١٩٦٦ (١٥ صفحة)
- ٢ - معركة العودة والاستراتيجية النووية - العدد (٦٠) مارس سنة ١٩٦٦ (١٨ صفحة)
- ٣ - نافذة على البحر الأحمر - القصير لأبرنيس - العدد (٦٢) مايو سنة ١٩٦٦ (١٠ صفحات)
- ٤ - قضية فلسطين والموقف العربى العدد (٦٥) أغسطس سنة ١٩٦٦ (١٩ صفحة)
- ٥ - قضية فلسطين ومحور الاستعمار والصهيونية العدد (٦٧) اكتوبر سنة ١٩٦٦ (١٧ صفحة)
- ٦ - قضية فلسطين والعدو الإسرائيلى - العدد (٦٨) نوفمبر ١٩٦٦ (٢٥ صفحة)
- ٧ - الأردن دولة - دراسة فى الجغرافيا السياسية (١) العدد (٧٠) يناير سنة ١٩٦٧ (٢٠ صفحة)
- ٨ - الأردن دولة - دراسة فى الجغرافيا السياسية (٢) العدد (٧١) فبراير سنة ١٩٦٧ (١٥ صفحة)

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

٩ - نظرة على الموقف قبل المعركة - العدد (٧٥) يونيو سنة ١٩٦٧
(١٧ صفحة)

١٠ - أهداف ثابتة ووسائل متغيرة - العدد (٧٧) أغسطس سنة ١٩٦٧
(٢١ صفحة)

١١ - حول الدعوة إلى نظرة جديدة إلى القضية الفلسطينية العدد (٨٥)
ابريل سنة ١٩٦٨ (١٧ صفحة)

١٢ - فلسطينيات - بين معركة الدعاية ومعركة الميدان - العدد (٨٧)
يونيو سنة ١٩٦٨ (٢٤ صفحة)

فى مجلة (مرآة العلوم الاجتماعية :)

١ - مورفولوجية الشام العدد الثانى ، مارس سنة ١٩٦٤
(٢٦ صفحة)

٢ - نحو مدرسة عربية فى الجغرافيا - العدد الاول ، ديسمبر سنة ١٩٦٤
(٢٨ صفحة)

٣ - الزراعة فى سوريا ، العدد الأول ، ديسمبر سنة ١٩٦٥
(٢٠ صفحة)

٤ - ديموغرافية العواصم الافريقية ، العدد الأول ، ديسمبر سنة ١٩٦٢
(١٢ صفحة)

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

- ٥ - أفريقيا - من جغرافية الاستعمار الى التحرير العدد الثاني مارس سنة ١٩٥٨ (١٣ صفحة)
 - ٦ - هذه الجغرافية ، العدد الأول ديسمبر سنة ١٩٥٧ (١٠ صفحات)
 - ٧ - الموقع الاستراتيجية للعالم العربي - العدد الثاني يونيو سنة ١٩٥٨ (١٣ صفحة)
 - ٨ - التخطيط الاقليمي بين موارد المياه والسكان في مصر - العددان الرابع والخامس - مايو سنة ١٩٥٩ (١٤ صفحة)
 - ٩ - تخطيطنا الإداري في ضوء نظام الحكم المحلي - العدد الثالث ، يونيو سنة ١٩٦١ (١٧ صفحة)
 - ١٠ - أسماء الأماكن في العالم العربي - العدد الثاني ، مارس سنة ١٩٦٣ (١٤ صفحة)
 - ١١ - الصناعة السورية - العدد الثاني ، مارس سنة ١٩٦٦ (١٦ صفحة)
- في مجلة (الفكر المعاصر) :
- ١ - هيكل المجتمع الإسرائيلي - العدد (٦) أغسطس ، سنة ١٩٦٥ (١٠ صفحات)

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

- ٢ - حول وحدة الرافدين والدليل - دراسة علمية لقوة العراق الاستراتيجية، العدد (١٢)، فبراير سنة ١٩٦٦ (١٢ صفحة)
- ٣ - خريطة القومية الافريقية : تحليل علمى منهجى لوضع الانسان الافريقى المعاصر- العدد (١٤)، ابريل سنة ١٩٦٦ (١١ صفحة)
- ٤ - من جغرافية الإسلام : دراسة رائدة عن توزيع المسلمين فى العالم- العدد (٢٠)، اكتوبر سنة ١٩٦٦ (١٨ صفحة)
- ٥ - ليس اليهود من بنى اسرائيل : دراسة علمية لاسطورة الاصل اليهودى - مهداة الى سارتر- العدد (٢٤)، فبراير سنة ١٩٦٧ (١٢ صفحة)
- ٦ - المعركة لم تلتها من بنى .. بل بدأت - العدد (٣٠)، أغسطس سنة ١٩٦٧ (١٥ صفحة)
- ٧ - نحن والدولة العصرية - العدد (٤١)، يوليو سنة ١٩٦٨ (١٧ صفحة)

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

فى مجلة (كلية الآداب) :

١ - فى العلاقة بين السكان والتضاريس - دراسة فى
جغرافية السكان - المجلد (١٩) الجزء الأول ، مايو سنة ١٩٥٧
(٢٠ صفحة)

٢ - العلمية الجديدة - نحو نظرية معرفة متطورة ، وعلم منهج
جغرافى ، عدد (٥٢) ١٩٩١ .

فى مجلة (نهضة افريقيا) :

١ - الخريطة السياسية الافريقية ، (١) ، (٢) مقالتان - العددان (٦٩) ،
(٧٠) أغسطس وسبتمبر سنة ١٩٦٣ (٨ صفحات)

٢ - الخريطة السياسية لافريقيا الجديدة - العدد (٧٠) سبتمبر ١٩٦٣
(٩ صفحات)

٣ - العواصم الافريقية (١) ، (٢) ، (٣) ثلاث مقالات - الاعداد
(٧٣) ، (٧٤) ، (٧٥) ديسمبر سنة ١٩٦٣ يناير وفبراير سنة
١٩٦٤ (٦ ، ٥ ، ٧ صفحات)

فى مجلة (المجلة) :

١ - الإسلام فى افريقيا ، دراسة سياسية - العدد (٨٢) نوفمبر ١٩٦٣
(٧ صفحات)

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

- ٢ - جغرافية الثورة - العدد (٨٨) إبريل ١٩٦٤ (٢٠ صفحة)
- ٣ - جوانب سياسية فى بترول العرب - العدد (٩١) يوليو ١٩٦٤
(١٤ صفحة)
- ٤ - شخصية مصر - مركزية رغم الامتداد - العدد (٩٥) نوفمبر ١٩٦٤
(٩ صفحات)
- ٥ - شخصية مصر - بين مياه النيل وطريق السويس - العدد (٩٦)
ديسمبر ١٩٦٤ (١٠ صفحات)
- ٦ - شخصية مصر - تعدد الجوانب - العدد (٩٧) يناير ١٩٦٥ .
- ٧ - من جغرافية الاستعمار الى عدم الانحياز (١) - العدد (١٠٥)
سبتمبر ١٩٦٥ (٢٠ صفحة)
- ٨ - من جغرافية الاستعمار الى عدم الانحياز (٢) - العدد (١٠٦)
اكتوبر ١٩٦٥ (٢٠ صفحة)
- ٩ - من جغرافية الاستعمار الى عدم الانحياز (٣) - العدد (١٠٧)
نوفمبر ١٩٦٥ (٢٥ صفحة)
- ١٠ - من جغرافية الاستعمار الى عدم الانحياز (٤) - العدد (١٠٨)
ديسمبر ١٩٦٥ (٢٢ صفحة)

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

١١ - من جغرافية الاستعمار الى عدم الانحياز (٥) - العدد (١٠٩)
يناير ١٩٦٦ (١٢ صفحة)

١٢ - من جغرافية الاستعمار الى عدم الانحياز (٦) - العدد (١) ١٩٦٦

١٣ - من جغرافية الاستعمار الى عدم الانحياز (٧) - العدد (١١٢)
ابريل ١٩٦٦ (١٦ صفحة)

١٤ - بين اوروبا وآسيا - نظائر ونقائض جغرافية (١) - العدد (١٣٦)
ابريل ١٩٦٨ (١٦ صفحة)

١٥ - بين اوروبا وآسيا - نظائر ونقائض جغرافية (٢) - العدد
(١٣٧) مايو ١٩٦٨ (١٣ صفحة)

١٦ - بين اوروبا وآسيا - نظائر ونقائض جغرافية (٣) - العدد (١٣٨)
يونيو ١٩٦٨ (١١ صفحة)

١٧ - بين اوروبا وآسيا - نظائر ونقائض جغرافية (٤) - العدد (١٣٩)
يوليو ١٩٦٨ (١١ صفحة)

في جريدة (الأهرام) :

(١) من مشاكل الحكم المحلى . عصر التفرقة بين « مديرية ،
محافظة ، لا يزال باقيا (١٩٦٤/٨/٢٦)

صاحب شخصية مصر/ جمال حمدان
وملامح من عبقرية الزمان

- (٢) حول برنامج العمل الوطني والدعوة الى خريطة جديدة
لمصر - خريطة مصر الجديدة وجغرافية سنة ٢٠٠٠ (١)
الأهرام (١٩٧١/٨/١١)
- (٣) قضية إعادة بناء القرية (٢) الأهرام (١٩٧١/٨/١٥)
- (٤) اتحاد الجمهورية العربية : الدولة والرسالة - الأهرام
(١٩٧١/٩/٢)
- (٥) معادلة القوة الجديدة فى الاستراتيجية العالمية : لعبة توازن القرن
التاسع عشر .. فى صورة اكبر - الأهرام (١٩٧٣/٢/١٣)
- (٦) محاور الاستقطاب فى آسيا : هل تصبح آسيا الجديدة .. هى أوروبا
القرن الجديد - الأهرام (١٩٧٣/٣/٢٤)
- (٧) اقتراح محدد حول إعادة تخطيط أرض المعارض - الأهرام
(١٩٧٣/٧/١٤)
- (٨) لا تنقلوا عاصمة مصر (١٩٧٦/٦/١٨)
- مقالات أخرى فى مصادر متنوعة
- ١ - نمو وتوزيع السكان فى مصر - ١٩٥٩ - القاهرة .
- ٢ - إعادة بناء القرية المصرية - مجلة الطليعة - عدد مايو ١٩٧٦ .

شخصية مصر



كان الدكتور جمال حمدان مثلاً للعالم الأديب المؤرخ المدقق الذى كرس حياته لكتابة أروع الكتب التى تمجد مصر خاصة مؤلفه الفريد «شخصية مصر» الذى أرسى فيه شخصية مصر وعبقريتها مكانتها ، فهو ليس مجرد عالماً الجغرافيا فحسب

وإنما هو مفكر فذاً فى تاريخ مصر الحديث .
يعتبر جمال حمدان نموذجاً للأكاديمى الجاد بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى . فقد أثبت أن الأبتعاد عن المشاكل ليس هروباً بقدر ما هو سمو وأن عزلة المجتمع قد تكون أحياناً أقوى من الاندماج فيه .

كان جمال حمدان ككل العلماء الجديرين بهذا اللقب - يتفوق على تخصصه بل يتخطاه لى يضع معارفه العلمية والمتخصصه فى السياق الشامل والطبيعى للتاريخ الكلى الذى يجمع بين الحضارة والمعرفة والثقافة والسياسية والجغرافيا وغيرها من العلوم الأخرى .

وداعاً جمال حمدان : عبقريته العشق وطقوس العشاق .

الناشر
مكتبة مدبولى

الأهلى